التجديد في علم الكلام الدواعي ،والضوابط

إعداد

الدكتور/ محمد السيد عبد الحميد والي

مدرس العقيدة والفلسفة

في كلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر - فرع المنصورة

البريد الإلكتروني: Mohamed.wali.azhar@gmail.com

العام الجامعي ١٤٤٤ هـ/ ٢٠٢٢ م

ملخص البحث باللغة العربية:

التجديد في علم الكلام (الدواعي والضوابط)

محمد السيد عبد الحميد والي

مدرس العقيدة والفلسفة في كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: Mohamed.wali.azhar@gmail.com

ملخص البحث:

الحمد لله الذي يُغيِّر ولا يتغير، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه المرجع والمآل وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على الخاتم لما سبق، والفاتح لما أُغلق، أرسله ربه مجددًا، فاللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الأطهار، وبعد...

فقد شَكَّلَت ثنائيةُ (المعرفة) - باعتبارها نتاجًا لفلسفة الدين داخل البيئة الغربية، والتي تهدف إلى الإجابة عن سؤال: كيف أعرف - مع (الوجود) -باعتباره يهدف إلى الإجابة عن سؤال: ماذا أعرف؟ ، الأساسَ لرؤية كثير من الباحثين لضرورة التجديد. هذا التجديد قد نتج عنه -لكونه ثنائي المنطلق- ثنائية في الآراء، ففي الوقت الذي اتفق فيه الجميع على أن علمَ الكلام علمٌ متجدد، فإنهم اختلفوا حول حدود هذا التجديد في الوقت الحاضر، هل هو المسائل أو البناء المعرفي للعلم كله؟

أما ما تسعى إليه هذه الدراسة فهو محاولة رصد دواعي التجديد في علم الكلام من خلال طبيعته نفسها، وأهم القضايا التي أثارت إشكالية التجديد، وماهية ضوابط التجديد في علم الكلام من خلال مراعاة الخصوصية الغيبية للدين الإسلامي، إضافة للنزعة اليقينية لعلم الكلام، ومجالات التجديد فيه على صعيد المسائل والمنهج، وأخيرًا، ضرورة مراعاة الفرق بين النتاج الحدثي، بما يحمله من فلسفة الدين وتبعاتها، وخصوصية الدين الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: علم الكلام، التجديد، الدواعي، الضوابط

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

Renewing in theology (Justifications and controls)

Mohamed El Sayed Abdel Hamid Wali
Department of Belief and Philosophy, College of Fundamentals of Religion and Da`wah in Mansoura, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt.
Email: mohamed.wali.azhar@gmail.com

Abstract:

Praise be to God, who changes not shall abide ever, in the first and the hereafter. To Him belongs Judgement and reference, and He is all-powerful. Prayers and peace be upon the seal of the formers and the opener of what was closed.

His Lord sent him as a renewer, so may God's prayers, peace and blessings be upon him and his family and pure companions, then after;

Many researchers depend on binary knowledge-which is the result of religious philosophy in the western community that aims to answer the question: How should I know? Or What should I know?- as a necessity for renewing. This renewal led to two considerable opinions on one matter. Although the scholars agreed that theology is a renewal science but they differ about the limits of renewing at present if it is issues or the scientific building of knowledge.

This study is concerned with Justifications of theology, the issues that lead to renewing, the controls when talking about theology through the unseen matter of Islamic religion, certain aspects of theology, and the renewing fields. Finally, the study will handle the different between modern results and specific Islamic religious.

Keywords: theology, Renewing, Justifications and controls.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمد لله الذي يُغيِّر ولا يتغير، له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه المرجع والمآل وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على الخاتم لما سبق، والفاتح لما أُغلق، أرسله ربه مجددًا، فاللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الأطهار، وبعد...

فقد شكلت الانتقادات الاستشراقية -منذ ما يقرب من قرنين من الزمان-[1] مقولة الفعل الخارجية في مقابلة مقولة الانفعال[2] الداخلية والتي حتمت على الفكر الكلامي

---

(١) ينقل لنا الشيخ أبو الحسن الندوي صورة الفعل الاستشراقي في اعتبار الحضارة الاسلامية حضارة عهد خاص وفن من الفنون انحصرت مظاهره في فترات التاريخ، وهو ما يخالف واقع هذا الدين من صيرورته وتجدده القائم على فكرة الكمال الحاضرة فيه من خلال قول الله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) (المائدة ٣) باعتبار أنه لا انتظار لدين آخر، وعلى فكرة الحيوية والنشاط الذي لا آخر له. ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار بن كثير، دمشق، بيروت ١/ ٤٠.

(٢) الفعل عبارة عن تأثير الشيء في غيره، والانفعال عبارة عن اتصاف الشيء بتأثيره عن غيره (معالم أصول الدين، الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الكتاب العربي، لبنان، ص٣٤)، لكن لا يعنى هذا غياب صفة الفاعلية عن المنهج الكلامي فلا " فاعل إلا ويعتريه نوع من أنواع الانفعال في فعله، كما أنه لا منفعل إلا وهو يعتريه نوع من أنواع الفعل في انفعاله، إلا أن الفعل في الانفعال خفي جداً، والفعل في المنفعل خفي جداً" (المقابسات، أبو حيان التوحيدي، تحقيق، حسن السندوبي، دار السعادة، ط٢، ١٩٩٢، ص ١٥١) . وقد آثرت تصدير البحث بأحد أركان علم الكلام -التقليدي- وهي احدى المقولات العشر افصاحًا عن مكنون البحث بأن الغرض من هذا الطرح هو التكامل وليس الاقصاء، والله الموفق إلى أحسن القصد.

الإسلامي –لا سيما الكلامي– ضرورة التحول من الانفعال إلى الفعل.

هذا التحول وإن بدا بطيئًا نوعًا ما إلا أنه لا يعني اقتصار الدور الكلامي على مقولة الانفعال فقط، وذلك أنه " لا بأس يكون الشيء من مقولة باعتبار، ومن مقولة أخرى باعتبار آخر، فقول: افعل باعتبار نسبته إلى الحاكم من مقولة الفعل، وباعتبار نسبته إلى الفعل وتعلقه به من مقولة الانفعال"(١).

وما بين الفعل والانفعال (الحركة والسكون) يتشكل المنهج الكلامي وفق قاعدة التجديد التي أقرها سيدنا النبيﷺ بقوله " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"(٢).

وقد تمثل هذا التجديد في محاولة مواكبة التطورات الفكرية التي أنتجت لنا داخل البيئة الإسلامية كثيراً من القضايا لم تعهد البيئة الاسلامية التعاطي معها بناء على اختلاف وسائل المعرفة والأسس المبنية عليها في العصر الحاضر.

إشكالية البحث:

إذا كانت هذه التغيرات منها ما هو خارجي يخضع لظروف بيئته ومجتمعه، ومنها ما هو داخلي يتشكل وفق المنظومة الإسلامية، فقد استدعى ذلك النظر في المرجو من التجديد، هل هي المسائل فقط، أم تدخل معها المناهج أيضًا؟ وما هي أسباب هذا التغيير؟ وما هي حدوده؟ وما هي الضوابط الحاكمة له؟ ، ولا شك أن هذه التساؤلات قد شكلت الأساس

---

(١) شرح مختصر المنتهى الأصولي، الإمام أبي عمرو عثمان بن الحاجب المالكي عضد الدين عبد الرحمن الإيجي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ٢/ ١٣١.

(٢) سنن أبي داود، الامام أبو داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ٤/ ١٠٩، رقم الحديث: ٤٢٩١.

الذي قام عليه هذا البحث في ضوء التعرض لبعض الأطروحات الخاصة بالتجديد في علم الكلام انطلاقًا من التأكيد على الخصوصية الإسلامية والتميز الإسلامي في مقابلة خصوصية التجربة الغربية وأصولها التاريخية.

أهمية الدراسة:

وتتمثل في تسليط الضوء على تجدد هذا الدين وصلاحية لكل زمان ومكان لا سيما وأن هذا التجدد ذاتي ينبع من الداخلي.

المنهج المتبع في الدراسة:

إن المنهج الذي رأيته معينًا ومحققًا في الوصول إلى الثمرة المرجوة لبحثي هو المنهج التاريخي، خاصة في عرض الآراء وتطورها، مضافًا إليه المنهج التحليلي لتحليل تلك النصوص وردها لمنابعها الأول، ثم المنهج النقدي لتمحيص الأفكار، فهو- إذن -منهج تاريخي تحليلي نقدي يستقرئ القضايا والإشكاليات ذات الصلة، ويمعن النظر فيها، ثم يستنبط ملامح الرؤيا، ويبدأ في طرحها على مائدة البحث والجدل، مراعيًا دعمها بالأدلة ووجهات النظر النقدية ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يتألف من مقدمة وثلاثة فصول يتبعها خاتمة ثم فهرس لأهم المصادر والمراجع، أما المقدمة فقد احتوت على الدافع إلى اختيار البحث، والتخطيط الذي احتواه.

أما الفصل الأول فهو نظري بعنوان: دواعي التجديد في علم الكلام، وقد تحدثت فيه عن الطبيعة التجديدية لعلم الكلام، وأهم القضايا التي أثارت اشكاليات التجديد في علم الكلام، كقضايا: (الدين والعلم، الدين والأخلاق، إنسانية الدين، ...) باعتبارها نتاجًا للفلسفة الغربية، ومن ثم عرض الآراء والمذاهب في حدود هذا التجديد.

أما الفصل الثاني فجاء تحت عنوان: ضوابط التجديد في علم الكلام، وهو نظري أيضًا، استعرضت فيه أهم الضوابط التي تراعي خصوصية الدين الإسلامي، ومن أهمها (مراعاة الخصوصية الغيبية للدين الإسلامي، ومراعاة النزعة اليقينية لعلم الكلام، ومراعاة الكيفيات والدوافع، ومراعاة شروط التغير، ووفق أي مفهوم يتم) .

ثم كان الفصل الثالث وهو تطبيقي بعنوان: مجالات التجديد في علم الكلام، وتحدثت فيه عن أهم مجالات التجديد في علم الكلام والتي تتضح معنا في المسائل والمنهج، أما بالنسبة للمسائل فاستعرضت فيها بعض مجالات التجديد ومنها: (التجديد بتأريخ بعض المسائل، والتجديد بإضافة بعض المسائل، والتجديد في عرض بعض المسائل، ومراعاة التطور المدني والاجتماعي، والرؤية التكاملية، ومراعاة مستوى المعلومات في عرض المسائل).

ثم أعقبت ذلك بنموذج تطبيقي يستعرض قضية مستحدثة في مجالات علم الكلام الجديد وهي التعددية الدينية والنبوات وغيرها. أما بالنسبة للتجديد في المنهج فقد استعرضت فيه أهم المناهج المستخدمة في الدراسات الكلامية بالإضافة إلى طرح فرضية استخدام المنهج التجريبي.

ثم كانت الخاتمة: وفيها تعرضت لأهم ما تم التوصل إليه في هذا البحث.

ثم أعقبت الخاتمة بفهرسين، أولهما للمصادر والمراجع والآخر للمحتوى.

وبعد، فالدراسة لابد أن تحتوي على بعض الثغرات، فالنقص من لوازم أعمال البشر، ولسوف يطوقني بفضله كل من يقيل عثرة أو يسد فرجه، ورحم الله امرءًا أهدى إلىَّ عيوبي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

دواعي التجديد في علم الكلام الإسلامي

ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: الطبيعة التجديدية لعلم الكلام.

المطلب الثاني: التجديد في العصر الحاضر.

المطلب الثالث: حدود التجديد.

المبحث الأول
دواعي التجديد في علم الكلام الإسلامي

المطلب الأول
الطبيعة التجديدية لعلم الكلام

علم الكلام علم واقعي ـ قضية نظرية برهنت عليها الأدلة الخاصة بنشأة علم الكلام[(١)].

كل علم واقعي متجدد ـ قضية ضرورية دليلها المشاهدة والحس.

النتيجة: علم الكلام متجدد.

في ضوء هذه القضية يمكننا القول بأن مسألة التجديد في علم الكلام مسألة ذاتية وليست عرضية، اقتضتها طبيعة هذا العلم تبعًا لطبيعة النشأة، وهو ما يفسر لنا التطور الهائل لهذا العلم، بل يفسر لنا ـ أيضًا ـ مسألة التلاقح والامتزاج بينه وبين غيره من العلوم. هذا الامتزاج فرض على الرؤية الكلامية التطور في جانبيه الطولي والعرضي، ويتضح هذا من اختلاط الكلام بالفلسفة، وذلك أنه (لما نقلت الفلسفة إلى العربية وخاض فيها الإسلاميون حاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة، فخلطوا بالكلام كثيراً من الفلسفة ليحققوا

---

(١) شكَّل الواقع أحد أهم الأسباب في نشأة علم الكلام، حيث ارتبط هذا العلم في تطوره بالمشكلات التي تعرض لها المجتمع الإسلامي، ويأتي في مقدمة ذلك مسألة الإمامة وما ارتبط بها من مشكلات، كما أثار البحث في مسألة مسؤولية الإنسان عن الكبيرة التي يرتكبها، وهل له فيها اختيار أم أنه مُجبر على ارتكابها؟ البداية لظهور الفرق الكلامية، ومشكلة خلق القرآن وما استتبعها من خلافات كلامية، وعلى هذا فإن موضوعات الفكر في حقيقتها إنما هي معالجة جادة لمشاكل واقعية حية رامت حلها على أساس عقدي بصرف النظر عما لحق بتلك المعالجة من ملابسات. ينظر: علم الكلام بين الأصالة والتجديد، د/ محمد خير حسن العمري، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الخامس، العدد٣/ أ، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص٢٣٨: ٢٤٠)

مقاصدها، فيتمكنوا من إبطالها، وهلم جرا، إلى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات والإلهيات، وخاضوا فى الرياضيات، حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات)[١] التي يتفرد بها علم الكلام عن الفلسفة.

هذا الخوض في المسائل الفلسفية بدأ أولًا بهدف الدفاع عن العقائد الدينية، ثم تحول إلى مسألة التفكير والتعمق في المسائل الفلسفية، وهو ما يدلل على أصالة هذا الدين وعقلانيته، وهي الخصوصية التي يظل رافعًا شعارها ومناديًا بها. وقد بدأ هذا التحول سريعًا في بواكير الفكر الإسلامي، وينقل لنا صاحب كتاب المعتزلة أن تحولهم من الدفاع إلى البحث والتوفيق قد تم وفقًا لدافعهم من دراسة الفلسفة القائم على الرد في بادئ الأمر، ثم تحول إلى التوفيق بين الدين الإسلامي وبين الفلسفة اليونانية، حتى إن اشتغالهم بالفلسفة وتعمقهم فيها وفق تعبير المؤلف "جعلهم يتأثرون بالفلسفة كثيرًا، ويصبغون بها معظم أقوالهم"[٢].

وقد شكل هذا التحول الأثر المباشر في تشكيل علم الكلام وتحوله، حيث مر بعدة أطوار:

الطور الأول: وحدة المعتقد بين الأئمة وبداية التصنيف في المسائل، حيث يعتبر الحسن بن محمد بن الحنفية، واضع مذهب الإرجاء، اول من صنف في المسائل الكلامية، وقد تأثر به الإمام أبو حنيفة فى الكتاب المشهور المنسوب إليه (الفقه الأكبر).

الطور الثاني: مرحلة التصنيف في بيان الاعتقاد، كالعقيدة الطحاوية وغيرها.

الطور الأخير: استقرت منذ الربع الأخير من القرن الرابع الهجري على أنها تمثل رؤوس

---

(١) شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، بدون، ص٤.

(٢) المعتزلة، زهدي جار الله، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، القاهرة ـ ١٩٧٤ صـ٤٩، ٥٠

المسائل فى كل بحث شامل فى علم الكلام، وهذه الخطة هي: (١ - البدء بالكلام على النظر والعلم، ٢ - البحث فى الجواهر والأعراض، ٣ - إثبات حدوث العالم عن صانع، ٤ - صفات الله، ٥ - الأحوال، ٦ - معانى أسماء الله، ٧ - رؤية الله، ٨ - خلق الأفعال، ٩ - التعديل والتجوير، ١٠ - الصلاح والأصلح، ١١ - النبوات، ١٢ - السمعيات، ١٣ - الآجال، ١٤ - الرزق، ١٥ - الأسعار، ١٦ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ١٧ - الثواب والعقاب، ١٨ - الأسماء والأحكام، ١٩ - التوبة، ٢٠ - الإمامة).

وعن هذه الخطة المفصلة نوعا ما لمسائل علم الكلام ظهرت الخطة الأخرى الرئيسية، وهي: المقدمات - الإلهيات - النبوات - السمعيات - الخاتمة فى الإمامة وبقية المسائل المذكورة (من ١٣-٢٠)، وهذه الخطة الأخيرة تستوعب كل رؤوس المسائل العشرين أيضًا، ولكنها حاولت ضم بعضها إلى بعض في أقسام أعم، ثم اتسعت المقدمات عند المتأخرين لتشمل ما أصبح يسمى بالأمور العامة، والتي تبحث فى الوجود وكل ما يتعلق به من مباحث[١].

وإذا كان هذا حال علم الكلام فيما مضى فهل استجد ما يدعو إلى إضافة أو تعديل أى من مسائله أو مناهجه؟

(١) مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، د/ عصام أنس الزفتاوي، أطروحة ماجستيرمخطوطة بكلية دار العلوم، ١٤٠ . ز/ م، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م، رقم: (٢٠٤٩ (

المطلب الثاني
التجديد في العصر الحاضر

(النطاق الديني، اللغة الدينية، ، عقلانية الدين، معنى وحقيقة الدين، الجوهر والعرض في الدين، المجتمع الديني، الدين والعلم، الدين والأخلاق، إنسانية الدين، الدين والأسطورة، الدين والأيديولوجيا، الدين بين التراث والحداثة، ...)[١]

شكلت هذه القضايا مع غيرها -باعتبارها نتاجًا لفلسفة الدين[٢] داخل البيئة الغربية منذ ما يربو على قرنين من الزمان- الأساس لرؤية كثير من الباحثين، باعتبارها ترسيخًا لمقولة المعرفة التي أَعْلَتْ منها الفلسفة الغربية في مقابلة مقولة الوجود، نزولًا على التطورات الجذرية التي شهدتها البيئة الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث أحدثت تأثيرات عميقة في تكوين فهم الانسان عن نفسه[٣].

وعلى مدى قرنين من الزمان ومن خلال الإجابة عن تلك التساؤلات تشكلت لدى الباحثين مجموعة من التصورات المختلفة، كل وفق رأيه، ومن أهم تلك التصورات التصور

---

(١) مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، حيدر حب الله، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ص (٢٥٤: ٢٥٩)

(٢) فلسفة الدين هي: ذلك الفرع من الفلسفة المختص بالتساؤلات الخاصة بالدين، وطبيعة الوجود الإلهي، وفحص التجربة الدينية، وتحليل المفردات والنصوص الدينية، والعلاقة بين الدين والعلم، أي أن فلسفة الدين هي الدراسة العقلية للمعاني وللقضايا التي تطرحها العقائد الدينية، وتفسيراتها للظواهر الطبيعية وما وراء الطبيعة مثل وجود الله، وقضايا الخلق، والموت، والمصير. (مدخل جديد إلى فلسفة الدين، مصطفى النشار، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ٢٠١٥م، ص٥٤).

(٣) الاجتهاد الكلامي، مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، أحمد قراملكي، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٩٥.

القائل بأن علم الكلام هو العلم المخول بدراسة تلك القضايا باعتبارها جزءًا من الحقل المعرفي لهذا العلم.

ومن خلال تحديد العلم المخول بدراسة تلك المسائل داخل البيئة الاسلامية تشكلت عدة إشكاليات، من أهمها: هل يحتاج علم الكلام في العصر الحاضر إلى التجديد أو نكتفي بالقديم؟

يرى البعض أن وجود مناهج وقضايا جديدة ضرورة عصرية بناء على أن القضايا سالفة الذكر (الالهيات، النبوات، السمعيات) هي قضايا "حاضرة في التراث من خلال بشر يفهمونها، وما دام اولئك البشر غير معصومين فإنهم حين يتعاطون مع نصوص الكتاب والسنة الشريفة وحقائق الوحي يكتسب فهمهم شيئًا من خصائص البشر ونقصه، ويلتبس عليهم أحيانا بما يكتنف حياتهم من البيئة المحيطة بهم، والفضاء الذي يتحركون فيه، فلا يصح أبداً تمديد رؤيتهم ومفاهيمهم وكلماتهم إلى عصرنا، ولا يصح توكيلهم في التفكير والحديث نيابة عنا، وإنما ينبغي دراسة ميراثهم وغربلته واستبعاد ما هو نسبي منه. "[1]

وبناء على هذا الرأي فقد أخذ علم الكلام في التطور والخروج عن الاتجاه التقليدي في دراسة مسائل وقضايا علم الكلام، حيث مر هذا التطور بعدة مراحل:

المرحلة الأولى: تأسيس المعتقد على العقل والعلم، كما في آثار الأفغاني ومحمد عبده.

المرحلة الثانية: التأسيس الفلسفي لعلم الكلام، كما عند محمد اقبال ومالك بن نبي.

المرحلة الثالثة: التأسيس المنهجي لعلم الكلام، كما عند الشهيد الصدر.

وفي مقابل هذا الرأي نجد من يرى أن نشأة هذه القضايا كان نتاجًا لبيئة غربية تستبعد

---

(١) الاجتهاد الكلامي، مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، مقدمة المحرر عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٣. ويلزم على قول المؤلف من نسبية الآراء انتفاء اليقينيات مما يفتح باب السفسطة والجدل المذموم) الباحث.

الوحي كمصدر للمعرفة، ومن ثم فهي غير مطابقة لما هو داخل البيئة الإسلامية، مما يستدعي الاحتفاظ بالقديم مع محاولة الانتفاع بالمنهجية الغربية داخل دائرتها اليقينية –فيما هو متفق عليه– بما يستلزم الحفاظ على كيان علم العقيدة داخل بيئته والتعرض للجديد باعتبارها مسائل مستجدة وفق كليات المسألة العقدية.

والملاحظ أن الخلاف بين النظرتين يتأتي من نظرة كل منهما إلى الدين، فالرؤية الأولى تنظر للدين لا باعتباره رسالة سماوية كانت أو غير سماوية، بل بصفته واقعًا لا مفر منه، وُلِد مع البشرية وواكبها على طول الخط في مسيراتها الفردية والاجتماعية والتاريخية، ويمكن أن تكون لهذه الرؤيا إفرازات عديدة في علم الأديان[١] بما يعنى عدم وجود قبليات في دراسة المسألة.

أما الرؤية الثانية فتنظر إلى الدين باعتباره مصدراً سماوياً إلهياً يهدف إلى إسعاد البشرية، لهذا كان الضابط للمسألة عندهم ووفق تعريف علم الكلام نفسه (الحجاج عن العقائد الدينية)، بما يعنى وجود قبليات في دراسة المسألة، بما يعني ـأيضاًـ أن الكلمة العليا للرؤية الدينية، أما المستجدات فيمكن استخدامها لأهداف عليا يصل منها الباحث إلى نتائج تتفق مع هذه الأهداف ولا تختلف.[٢]

والذي يراه الباحث أن على فرضية الاحتفاظ بالقديم أو إحلال الجديد فإن خصوصية الدين الاسلامي حافظة لكلا الأمرين بشرط التخلص من الدوافع الخبيثة من ناحية، والاعتماد على مصدر يقيني خاصة وأن ما استند عليه أرباب الرأي الأول من اعتبار

---

(١) السابق، ص٢٩٦.

(٢) الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية، يحي هاشم فرغلي، مطبوعات جامعة الامارات المتحدة، ١٩٩٨م، ص٤٦

الموروث الكلامي نشأ داخل بيئته وثقافته ولا يمكن أن يؤثر فينا ينطبق أيضًا على الموروث العلمي الذي دعاهم لهذا التغيير، من ناحية أخرى نجد أن المنهج التجريبي باعتباره المثال الأعلى للوصول إلى الحقيقة لا يمكن الفصل فيه بين الظاهرة والشخص باعتباره متأثرًا بالظروف الشخصية والبيئية، وفي ذلك يقول الأستاذ جورج جاموف "لا نستطيع الجزم بأن نتائج القياس والمشاهدة تصف بالفعل ما كان يحدث لو أننا لم نستخدم وسائل القياس، فالراصد ومعداته كلاهما يصبح جزء متكاملًا مع الظاهرة التي تدرس، وفي جميع الحالات يصبح جزءًا متكاملًا مع الظاهرة التي تدرس، وفي جميع الحالات يوجد تأثير متبادل لا يمكن تجنبه على الإطلاق بين الراصد والظاهرة"(١) وهو ما عبر عنه بوضوح حين قال "إن علم الانسان بشري ولا يمكنه أبدًا أن يكون غير ذلك."(٢)

كما ينبغي التمييز أيضًا بين ما هو يقيني الدلالة وما هو ظني، فالتشبث بالتقدم الحضاري في الغرب واستدعاء تغيير القائم نتيجة لهذا التقدم يصح في حالة يقينية النتائج المترتبة على هذا التقدم، أما إذا كانت الحضارة الغربية نفسها ترى أن النظريات والمفاهيم العلمية تتغير بتغير الزمن بل أكثر من ذلك فقد يظل الأمر وعلى مدى قرون طويلة ومن خلال المنهج العلمي داعية للتأخر لا للتقدم، خصوصًا إذا خضع لتفسير خاطئ، سواء كان هذا التفسير عفوي أم عمدي كمسألة (الفلوجستون) وهو عبارة عن أحد أجزاء المادة استخدمه العلماء لتفسير ظاهرة الاحتراق، حيث تقول النظرية: إن المادة حين تحترق يخرج منها الفلوجستون، وعلى الرغم من أن وزن المادة يزداد فإن العلماء فسروا ذلك بأن وزنه سلبي، واستمر هذا الخطأ قرنين من الزمان حتى جاء (لافوازييه) واكتشف أن سبب الاحتراق هو

(١) الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية، يحي هاشم فرغلي، ص٣٢٣: ٣٢٤

(٢) السابق نفسه.

الأكسجين.[1]

ومن خلال هذا العرض يمكننا القول بأنه لا يمكن هدم ما هو معتمد على اليقين لأجل ما هو فرضي ولا يعنى ذلك الرفض بل إننا أولى بالقبول خضوعًا لأوامر القرآن الكلام من التعقل والتفكر ونزولًا على التحدي المعلن ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢ ونزولًا على ما وصل إليه علمائنا من أن صحيح المنقول لا يمكن ان يتعارض مع صحيح المعقول على اعتبار اتحاد المصدر وهو الله عز وجل.

وبهذا تنتصر الرؤية التجديدة ولكن وفق شروط الخصوصية الإسلامية من جانب والاعتماد على اليقين من جانب آخر، وذلك وفق ما سيأتي، لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن والذي تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عنه فهو ما هي حدود هذا التجديد؟

حدود التجديد:

إضافة إلى القضايا سابقة الذكر (النطاق الديني، اللغة الدينية، ، عقلانية الدين، معنى وحقيقة الدين، الجوهر والعرض في الدين، المجتمع الديني، الدين والعلم) فقد شكلت كلًا من (هيمنة المنطق الأرسطي، النزعة التجريدية أو الفصام بين النظر والعمل، تفريغ علم الكلام من محتواه الاجتماعي، ....) أهم الانتقادات التي وجهت إلى علم الكلام التقليدي، من هنا أضحت الحاجة إلى التعامل مع الجديد ومحاولة تلافي القصور في القديم أحد أهم أسباب الدعوة للتجديد في علم الكلام

ويرصد لنا شبلي النعماني -وهو في نظر جمهور المؤرخين أول من استخدم مصطلح علم الكلام الجديد، في كتاب له بنفس العنوان (أليات التحول من القديم للجديد) بقوله: "إنَّ

---

(١) السابق نفسه.

علم الكلام القديم يُعنى ببحث العقائد الإسلامية؛ لأنَّ شبهات الخصوم كانت ترتكز على العقائد فقط، بينما يجري التأكيد هذا اليوم على الأبعاد الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية في الدين، وتتمحور الشبهات حول المسائل الأخلاقية والقانونية من الدين، وليس حول العقائد، فإنَّ الباحثين الأوربيين يعتبرون الدليل الأقوى على بطلان الدين هي مسائل تعدُّد الزوجات، والطلاق، والأسرى، والجهاد، وبناءً على ذلك سيدور البحث في علم الكلام الجديد حول مسائل من هذا القبيل، حيث تعتبر هذه المسائل من اختصاص علم الكلام الجديد."[١]

ومن خلال نص النعماني يمكننا رصد أليات هذا التحول، والتي ترتكز على ظهور مسائل جديدة تستدعي الردود، هذه المسائل ليس لها في علم الكلام التقليدي حظ نتيجة للبناء المعرفي لهذا العلم المكون من (الإلهيات، النبوات، السمعيات).[٢]

وبعد هذا العرض نقول: إذا كان التجديد باتفاق الجميع صفة ذاتية لعلم الكلام، وإذا كانت هناك دواعي للتجديد في هذا العصر فما حدود هذا التجديد؟ الباحث يجد نفسه أمام اتجاهين:

---

(١) علم كلام جديد، شبلي النعماني، ترجمه للفارسية: سيد محمد تقي فخر داعي كيلاني، طهران ١٣٢٩ش، ص ٤٢. نقلًا عن سلسلة مقالات بعنوان: علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، علم الكلام الجديد، الشيخ عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٢٧.

(٢) احقاقًا للحق يمكننا القول بأن القضايا التي طرحها الشبلي ترجع إلى الجوانب العملية الخاصة بالفقه، والتي يمكن الجواب عنها من خلال بيان الفائدة من هذه القضايا، بخلاف المسائل العلمية التي تهتم بالاعتقادات والتي هي مظنة علم الكلام، وعلى هذا فدراسة هذه المسائل يدخل تحت دائرة الفعل الإلهي، وهل هو معلل بالأغراض أم لا؟ ثم مسألة التحسين والتقبيح، وهل هي عقلية أم شرعية؟ وبهذا نجد أنفسنا أمام رؤية عقلية تكاد تقترب من فلسفة الدين ولكن على وفق القانون الإسلامي (الباحث).

الاتجاه الأول: يختصر التجديد في بعد واحد وهو التجديد في المسائل فقط، بناء على أن "الكلام الجديد والقديم مشتركين في الموضوع والتعريف والغاية وحتى في أساليب الاستدلال أحيانًا، والفارق الوحيد بينهما في المسائل فقط، وخصوصًا في المسائل السلبية ومبادئ الاستدلال."(١)

الاتجاه الثاني: يرى بأنَّ علم الكلام الجديد هو علم آخر، يختلف عن علم الكلام القديم في منهجه ومسائله ولغته، وبالتالي هو علم يجد في التراث ما ينفعه ويغنيه، وبالتالي لا ينقطع عن الموروث الإسلامي، بل ربَّما لا يمكنه ذلك، ولكنَّه -على أيِّ حال- علم جديد؛ لا تطوير للعلم القديم عينه. وبعبارةٍ أخرى، سوف تبقى الحاجة إلى علم الكلام القديم، والحاجة إلى تطويره كذلك، ولكنَّنا نحتاج إلى علم جديد هو هذا العلم، الجديد في كل شيء حتى في هندسته المعرفية(٢)

هذا التحول حتى في الهندسة المعرفية انبنى على عدة أمور منها

- القول بتحول مسائل العلم يستلزم القول بتحول باقي الأضلاع المعرفية للعلم... المسائل، والمبادئ، والموضوع. فعلى أساس هذه القاعدة تشكل المسائل جميع أضلاع الهندسة المعرفية للعلم، بحيث إن التجديد في المسائل يستلزم التحول في مجمل الهندسة المعرفية للعلم.
- ظهور مسائل جديدة ناجم عن عوامل، أهمها: ظهور أسس وتوجهات جديدة في عالم الأفكار. وعليه، فبروز مسائل كلامية جديدة يكشف عن وجود نتائج وأسس مستحدثة

---

(١) علم الكلام في إطار التحوّل: الكلام الجديد على امتداد الافكار، على أوجبي ص ٥٤ - ٥٥. نقلًا عن علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، ص٨١.

(٢) يحمل هذه الرؤية د. أحد قراملكي، وقد كتب كتابًا بهذا العنوان وهو: الهندسة المعرفية لعلم الكلام الجديد، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

تشكّلت على أساسها شبهات جديدة. وإلا فلماذا لم تكن لدى القدماء قضايا نظير: علم نفس الدين، وعلم اجتماع الدين، وتحليل مدلول النصوص الدينية في الكلام اليومي المتداول؟

- ظهور مسائل جديدة أوجد أساليب ومبان جديدة في علم الكلام، خلافاً للفلسفة الأولى، بحيث لا يستند على أسلوب البرهان فقط، وإنما يتحرّر في استعمال الأساليب بحسب نوعية المسائل المطروحة.
- التجديد في المسائل يمكن - بل يجب - أن يفضي الى تجديد في ضلع آخر من أضلاع العلم، وهو المنهج. ولا شك أن اتخاذ منهج يناسب المسألة الجديدة يقتضي مبانٍ معرفية جديدة. والنتيجة هي أن ظهور المسائل الجديدة يشي بوجود مبانٍ حديثة لدى مخاطبي الوحي في العالم المعاصر

وبعد هذا العرض يمكننا القول بأننا امام عدة قضايا لا بد أن نستخلصها

١ - اتفاق الجميع على أن علم الكلام علم متجدد.

٢ - الاختلاف في حدود هذا التجديد في الوقت الحاضر هل هو المسائل أم البناء المعرفي للعلم كله؟

والذي تطمئن إليه النفس أن علم الكلام يستوعب كلا الرأيين، سواء على مستوى المسائل أم المناهج أم غير ذلك، ويؤيد هذا الأمر ذلك التطور الذي حدث في تعريف العلم نفسه تبعًا لاختلاف الواقع، كما أن الرؤية التاريخية تحيلنا إلى تطورات هذا العلم والتي يمكن لنا تلمسها من خلال تعريفه القائم على الرد والنقد باعتباره " يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه"[(١)]، فضلاً عن أن مجادلة المتكلمين للمخالف قد

(١) المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة، ٢/ ٣١

ألزمتهم باتباع منهج يكون ملائمًا لتفنيد الشبهات التى يوردها المخالف واستخدام الأدلة والكشف عن مستواها من القوة أو الضعف في الإقناع، والإبانة عن توظيف المتكلمين لهذا الاستدلال توظيفًا جمًا في مناظراتهم، خصوصاً أن جنس القول الكلامي ليس وضعا، بل رفعًا لأقاويل الخصوم(١).

١ - التطور الذي حدث في منهج العلم تبعًا للغرض المراد منه هل هو الدفاع أو الاثبات والانتقال من المنهج الجدلي للمنهج اليقيني و يعد الفصل الذي قام به ابن خلدون بين طريقة المتقدمين والمتأخرين أساسًا لكافة الآراء التي عالجت تلك المسألة، المؤيد منها والمعارض، وعلى الرغم من أن هذا الفصل كان سائدًا في عصر ابن خلدون عند كثير من علماء عصره، فإن ضابط ابن خلدون يعد هو المؤسس لتلك المسألة، حيث اعتبر ابن خلدون أن الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين هو عدم الأخذ بمبدأ "بطلان المدلول من بطلان دليله"، مؤرخًا لنهاية فترة المتقدمين بالإمام الباقلاني، واصفًا إياه بأنه "تصدر للإمامة فى طريقتهم، وهذبها ووضع المقدمات العقلية التى تتوقف عليها الأدلة والأنظار، وذلك مثل إثبات الجوهر الفرد والخلاء، ...إلا أن صور الأدلة فيها جاءت بعض الأحيان على غير الوجه الصناعى...، ولأن صناعة المنطق التى تسير بها الأدلة لم تكن حينئذ ظاهرة فى الملة، ...ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق فى الملة، وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بأنه قانون ومعيار للأدلة فقط، ثم نظروا فى تلك القواعد والمقدمات في فن الكلام للأقدمين فخالفوا الكثير منها بالبراهين التى أدتهم إلى ذلك، وربما أن كثيرًا منها مقتبس من كلام الفلاسفة فى الطبيعيات والإلهيات، فلما سبروها بمعيار المنطق ردهم إلى ذلك فيها،

---

(١) ملخص ندوة المنطق واستعمالاته، بحث بعنوان (الاستدلال ببرهان الخلف لدى المتكلمين: الغزالي أنموذجًا، د/ محمد أيت حمو، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، فبراير ٢٠١٧ م، ص ١١.

ولم يعتقدوا بطلان المدلول من بطلان دليله كما صار إليه القاضى الباقلاني...، فصارت هذه الطريقة في مصطلحهم مباينة للطريقة الأولى، وتسمّى طريقة المتأخّرين."[١]

لأجل ذلك كله يمكننا القول بأن الخلاف القائم لا يرجع بالضرورة إلى مسألة التجديد، وإنما يرجع إلى مآلات تلك المسألة، فاستخدام مناهج تعتمد على الإدراكات الاعتبارية – كمناهج التحليل النفسي والاجتماعي بما تحتوي عليه من حقائق نسبية – واستخدامها في تقييم المطلق يعد ظلمًا لكلا الطرفين.

وعلى هذا فإن حدود مسألة التجديد من وجهة نظرى لا نهائية نتيجة للانهائية جزئياتها، لكن الخلاف في ضوابط هذا التجديد، هل هو تجديد في الفضاء المطلق بلا أى حدود أو معالم أم أنه تجديد وفق حدود ومعالم ومراعاة للقيد الموجود فيه وهو (علم الكلام الاسلامي)؟ وهو ما يحيلنا مباشرة إلى الفصل الثاني وهو ضوابط التجديد في علم الكلام الإسلامي.

---

(١) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، ١/ ٥٨٩: ٥٩٠، ويلاحظ على هذا النص اعتماد صور الأدلة ضابطًا للفصل بين المرحلتين، وهو ما سار عليه جل الباحثين، وإن اختلفوا في صور الأدلة المعتمد، كما حاول معالجته الأب جورج قنواتي في بحثهوالتي ظهر مثلها لدى الشريف المرتضى من الإمامية الإثنى عشرية، فقد ذهب خلال القرن الخامس الهجري إلى أن كل ما لا دليل على إثباته فهو منفي (ينظر: مجموعة رسائل الشريف المرتضى، نشر دار القرآن الكريم في قم، ٢/ ١٠٢).

المبحث الثاني

ضوابط التجديد في علم الكلام الإسلامي

ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: مراعاة الخصوصية الغيبية للدين الإسلامي.

المطلب الثاني: اليقين كهدف لعلم الكلام.

المبحث الثالث: مراعاة الكيفيات والدوافع.

المبحث الرابع: مراعاة شروط التغير ووفق أي مفهوم يتم.

المبحث الثاني
ضوابط التجديد في علم الكلام الإسلامي

المطلب الأول
(مراعاة الخصوصية الغيبية للدين الإسلامي) (الطبيعة النقلية لعلم الكلام)

شكلت البنية الداخلية لعلم الكلام باعتباره علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه" أحد أهم الانتقادات الحداثية وذلك أن التقيد بضابط " العقائد الدينية" - ووفق ما ذكره طاش كبرى زاده من أن القصد من هذا العلم هو تأييد الشرع بالعقل، وأن تكون العقيدة مما وردت في الكتاب والسنة - " يقتضي وجود افتراضات قبلية يخضع العلم لها، وهو مالا يتوافق وصفة الموضوعية العلمية[1].

لأجل هذا وحتى تتحقق صفة الموضوعية فيشترط الانتقال بعلم الكلام من كونه يضمن الحجاج عن العقائد إلى كونه علمًا يبحث في العقائد

شكلت المآلات التي تحملها تلك الرؤية الأساس لرفض مسألة التجديد برمتها –وفق المفهوم الغربي- والاقتصار على مجرد استعراض المسائل الجديدة في ضوء دائرة الدفاع الكلامية التقليدية.

هذا الرفض تم بنائه على مراعاة الخصوصية التي يمتاز بها علم الكلام الاسلامي عن غيره من العلوم العقلية، والتي تقتضي تداخل علمي الرواية والدراية الكلاميين وفق قواعد الملة على نحو ما فرق به الإيجي من أن الكلام يمتاز عن الفلسفة في أن البحث في الكلام على قانون الاسلام بخلاف البحث في الفلسفة فإنه على قانون عقولهم، وافق الإسلام أو

---

(١) مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، حيدر حب الله، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ص (٢٣٤).

خالفه.[١]

وعلى هذا يمكننا الفصل بين المحاولات الحداثية الداعية إلى ضرورة إعادة النظر في علاقة العلم بالدين كحاجة عصرية والعمل على كشف الجوانب العلمية التي تؤيد وجود شيء من السمو الغائب أو الإلهي الذي يحف به الكون، والذي نتج عنه إطلاقهم العقل لتصميم صورة عن الغيب الذي يطمحون إليه خارج إطار النص الديني حيث وجدوا أن نصوص الكتاب المقدس لا تتجاوب مع أي حقيقة من حقائق العلم المعاصر[٢]،

وعلى هذا فتطوير مسائل علم الكلام سواء بالإضافة أو الحذف أو التعديل ودراسة مسائل – كـ (علم نفس الدين، وعلم اجتماع الدين، العلاقة بين الدين والعلم، الدين والأدلجة، الدين والأسطورة، الدين والمرأة) – لن ينطلق من إطار عدمي أو فضاء كوني لكن مهمته ستكون عبارة عن تفسير للكيفيات ودوافعها وفق قانون الاسلام وهو ما يؤكد الرؤية الاسلامية أن النص القرآني والنبوي أصول ثابتة مقدسة تستمد ثباتها من ثبات مصدرها وذلك في مقابل بعض مشاريع التجديد التي تنظر إلى المسألة من منظار منهج تطوري أولي مسلماته أن لا ثابت ولا مقدس[٣].

والسؤال المطروح ألا يعد الاعتراض الحداثي بوجود افتراضات قبلية منافيًا للمسألة العلمية؟ والجواب إن منشأ هذا السؤال مقبول داخل البيئة الغربية نتيجة للتناقضات

---

(١) ينظر في ذلك: المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، لبنان – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، (١/ ٣٩).

(٢) ينظر في ذلك: دقيق الكلام (الرؤية الاسلامية لفلسفة الطبيعة) د/ محمد باسل الطائي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠١٠م، ص٧

(٣) ينظر: التراث والتجديد، الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر، دار القدس العربي، ط٢، ٢٠١٦م، ص١٠٤

الموجودة داخل المسالة اللاهوتية لتلك الثقافات بخلاف الخصوصية الاسلامية التي تنطلق أساسًا من التأسيس العقلي للنداء الإلهي "أفلا يعقلون" أفلا يتدبرون" وهو ما حاولت الرؤية العقلية الاسلامية التأسيس له من خلال دراسة مباحث النظر ورفض التقليد وقسمة المعلوم وغير ذلك.

وتأتي أصالة الرؤية الإسلامية في التوحيد بين الوحي الإلهي والعلم باعتبارهما يحملان نفس المعنى ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٥]، ﴿ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٥٦ -٥٧] ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وعلى هذا فالدين "علم عن طريق الوحي، وما جاءت به طريق الدِّين اليقينية هو من قبيل الحقائق العلمية، وللحقائق العلمية طرق إثبات أخرى هي الوسائل الإنسانية البحتة"(١)

وتأسيسًا على هذه القاعدة القائلة بأن الدين علم يمكننا القول بأن هناك ما هو مشترك بين الدين والعلم في مجال المحسوس و هناك – أيضًا – ما يمتاز به الدين عن العلم، وبيان ذلك يتضح من خلال النقاط التالية:

الاشتراك في مفهوم الايمان: واعتماد الرؤية الشرعية رؤيةً قبلية إنما هو اعتماد لما أُثبت بالعقل ولم يتعارض معه، وما اعتماد المتكلمين لحجية العقل إلا دليل على ذلك، ومما يؤيد ذلك أن مراعاة الخصوصية الغيبية للدين الإسلامي لا تقتصر عليه فقط، بل تمتد إلى العلم نفسه، يقول ألبرت سابين عالم الميكروبات الشهير وصاحب مصل شلل الأطفال: "إن العلم

(١) صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن حَبَنَّكَة، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص١٤.

والدين كليهما يقومان على الإيمان."[١]

وعلى هذا فقد "أصبح الإيمان في العلم شيئًا تلقائيًا حيث لم يعد يراه الناس، ففي العلم ايمان بأن للكون نظامًا يمكن للعقل البشري فهمه، وهذا الايمان ليس قديمًا وانما نشا منذ قرون عدة، وإذا لم يكن للمرء هذا الايمان فإنه لقي نفسه في وسط الخرافات التي تقوم على عدم وجود نظام لهذا الكون."[٢]

ويحدد لنا وحيد الدين خان مجالات الاتفاق والافتراق بين الدين والعلم في الاعتماد على الغيبيات، وذلك في قوله: "دائرة الدين الحقيقية هي دائرة (تعيين حقائق الأمور) نهائيًا أو أصليًا، أما العلم فيقتصر بحثه على المظاهر الأولية والخارجية، فحين يدخل العلم ميدان تعيين حقائق الأمور تعيينًا حقيقيًا ونهائيًا-وهو ميدان الدين الحقيقي- فإنه يتبع نفس طريق الإيمان بالغيب الذي يهتم به الدين."[٣]

ولا تقتصر المسألة الايمانية الغيبية على كونها المشترك الوحيد بين المسالة الدينية والمسألة العلمية، بل إن العلم يعتمد في كثير من فروضه على الجانب الوجداني الإلهامي، إذ إن "أعظم الفروض التمهيدية الكبرى التي جاء بها تاريخ العلم نشأت نتيجة لعملية ذهنية يعبر عنها أحيانًا بأنها (مسة عبقرية، أو خاطرة ملهمة، او ومضة خيال باهر)، وقلما يتبين فيها الناظر أنها كانت تمحيص للنتائج كلها أو تحليل منطقي لها."[٤]

وتأتي مسألة النظرية والفرض العلمي كأساس لتلك المسألة، فبعد اجتماع كم من الحقائق الحسية الملحوظة كجزئيات نحتاج إلى "وضع نظرية أو فرض علمي. وبعبارة أدق:

---

(١) الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية ص.٥٨

(٢) السابق، ص ٥٨.

(٣) الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص٥٥.

(٤) الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية ص٦٢.

ضرورة فكرة اعتقادية ووجدانية، تقوم بتفسير الملاحظات وربط بعضها ببعض فإذا نجحت هذه الفكرة الاعتقادية في تفسير الحقائق تفسيرا كاملا عُدت حقيقة علمية رغم أنها لم تُلاحظ قط كما لُوحظت الحقائق الأخرى التي نعرفها بالمشاهدة أو بالملاحظة العلمية."[١]

وعلى هذا فوجود مبادئ غيبية عُليا يخضع لها الفكر في أطره لا يختص بالدين فقط، بل يشمل كليهما (الدين والعلم)، فالعلم على سبيل المثال مضطر للاستعانة بالكثير من المفاهيم الغامضة التي لا سبيل إلى تفسيرها، كالزمان، والمكان، والحركة، والقوة، ....، وليس في استطاعة العقل البشري أن يستغني عن أمثال هذه المفاهيم.[٢]

واختم بالألغاز السبعة التي قال بها ديبور ريموند وقال فيها لا أعلم وهي: (ماهية المادة، وأصل الحركة، وأصل الإحساس البسيط، والحرية، وأصل الحياة، والغائية، وأصل الفكر، واللغة)[٣].

الاشتراك في طرق اكتساب بعض المعلومات والافتراق في مجال الغيبيات:

يشترك الدين والعلم في وقوف كلٍ منهما على الأمور الحسية المباشرة والاعتراف بها، بيد أن الدين يختلف في اكتساب "العلوم الغيبية التي لا تدركها الحواس الإنسانية، ولا تستطيع العقول بوسائلها إثباتها مستقلة عن أنباء الدين."[٤] ومعنى هذا أن "الإسلام والعلم الصحيح يسيران على منهج واحد في الوصول إلى المعارف والبحث عن الحقائق، حتى يصل البحث إلى منطقة عالم الغيب، فإذا وصل البحث إلى هذه المنطقة توقفت الوسائل الحسية وبقي المنهج الاستدلالي، وضمن المنهج الاستدلالي يُبحثان وفق منهج واحد،

---

(١) الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان، ص٥٦.

(٢) الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية ص٦٣.

(٣) السابق، ص ٦٧.

(٤) صراع مع الملاحدة حتى العظم (ص: ٢٢)

وعند الخلاف المحتمل يبدو الفكر الإسلامي هو المرجح بأدلته الاستدلالية، وبمفاهيم نصوصه الآتية من عالم الغيب نفسه، ولا بد من مراعاة الأصول المنطقية العامة لدى فهم دلالات هذه النصوص. ويظل حال التوافق بين الإسلام والعلم على المنهج الاستدلالي في مسيرة البحث عما في عالم الغيب من حقائق، حتى تنقطع الوسائل الاستدلالية، عندئذٍ يقول العلم: لقد انتهت رسائلي، ولكني لا أمانع احتمال وجود وسائل أخرى قد يأتي عن طريقها معارف وحقائق داخلة في عالم الغيب، وقد عجزت وسائلي الحسية والاستدلالية عن إدراكها، والحكم عليها بإثبات أو نفي.[١]

وعلى هذا فإن محاولة القطيعة بين المعرفة الدينية والمعرفة العلمية على اعتبار التناقض بينهما لا تتوافق ومعطيات الدين الإسلامي، كما أن محاولات التجديد في الرؤية الكلامية لا بد وأن تتحدد وفق خصوصية هذا الدين وايمانه بالجانب الغيبي، وهي خصوصية لا تعتمد على رؤية تحيزية وإنما على رؤية علمية، وهو ما أكده موريس بوكاي بقوله: "لم أجد التوافق بين الدين والعلم إلا يوم شرعت في دراسة القرآن الكريم فالعلم والدين في الإسلام شقيقان توأمان، لأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يدعوان كل مسلم إلى طلب العلم، طبعاً إنما نجمت إنجازات الحضارة الإسلامية العظيمة عن امتثال الأوامر المفروضة على المسلمين منذ فجر الإسلام."[٢] فالتوافق بين الدين والعلم أمر لا جدال فيه، ومحاولة القطيعة بينهما يتضاد مع معطيات الدين الإسلامي، بيد أن الدين ينفرد بالإيمان بالجانب الغيبي، وهذا لا يعني أنه بمعزل عن العقل، وهو ما قصد إليه ابن خلدون حين ذهب في معرض حديثه عن هذا التوافق إلى أن الايمان بالغيب "ليس ذلك بقادح في العقل ومداركه

(١) صراع مع الملاحدة حتى العظم (ص: ٢٣٩)

(٢) (القرآن الكريم والعلم المعاصر) د. موريس بوكاي ص (١٢٣) -.

بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينيّة لا كذب فيها. غير أنّك لا تطمع أن تزن به أمور التّوحيد، والآخرة، وحقيقة النّبوة، وحقائق الصّفات الإلهيّة، وكلّ ما وراء طوره، فإنّ ذلك طمع في محال. ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الّذي يوزن به الذّهب فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يُدرك، على أنّ الميزان في أحكامه غير صادق لكنّ العقل قد يقف عنده ولا يتعدّى طوره حتّى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته فإنّه ذرّة من ذرّات الوجود الحاصل منه. وتفطّن في هذا الغلط."[1]

(١) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، ١/ ٥٨٢.

المطلب الثاني
اليقين كهدف لعلم الكلام

(عدم الاحتجاج بأحاديث الأحاد، الدور الاعتزالي وأسبقية العقل على النقل، درء التعارض بين العقل والنقل)

شكلت هذه المسائل – التي أراد علماء الكلام من خلالها الوصول إلى اليقين في مسألة الاعتقاد وهو ما أيده علماء الكلام في تعريفهم لهذا العلم بأنه: "العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينة"[١] – الأساس الذي يمكننا من خلاله تفسير الانتقال الكلامي من طريقة المتقدمين إلى طريقة المتأخرين في اعتماد المنطق، والذي يتقيد بكونه " علم بقوانين تفيد معرفة طرق الانتقال من المعلومات إلى المجهولات وشرائطها، بحيث لا يعرض الغلط في الفكر"[٢].

وعلى هذا أضحى اليقين أحد السمات والخصوصيات التي يمتاز بها علم الكلام في محاولة إقامة صرحه، سواء في جانب التدليل المسائل أو المنهج المتبع، لهذا رأيناه يعتمد الصدق كقيمة مترتبة على هذا اليقين، على اعتبار أنه مطابقة الخبر للواقع، فالضابط هنا هو المطابقة للمخبر به، فإن طابقه فهو الصادق وإلا فالكاذب[٣] وعلى هذا فلا واسطة بين

---

(١) عمدة المريد شرح جوهرة التوحيد، الشرح الكبير للناظم الإمام، برهان الدين اللقاني، تحقيق واعتناء: محمد يوسف ادريس وآخرون، دار النور المبين للنشر والتوزيع عمان – الأردن، ط١، : ٢٠١٦ م، ١/ ١٢٢.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط١، – ١٩٩٦م، ١/ ٤٤.

(٣) أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، محمد حسين الطباطبائي، تقديم: مرتضى مطهري، ترجمة: عمار أبو رغيف، المؤسسة العراقية للنشر والتوزيع، بدون ١/ ٧٨.

الصدق والكذب لأنه لا واسطة بين المطابقة وعدمها.[١]

---

(١) خالف الجاحظ من المعتزلة فقال بالواسطة بين الصدق والكذب، مقسمًا الخبر إلى صادق وكاذب، وما ليس بصادق ولا كاذب، حيث ذهب في معرض حديثه عن الشروط الواجب توافرها فيمن يتعرض للترجمة إلى أنه يتوجب عليه معرفة" ما يكون من الخبر صدقًا أو كذبا، وما لا يجوز أن يسمى بصدق ولا كذب؛ وحتى يعرف اسم الصدق ولا الكذب، الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١/ ٥٤.

هذا النص نلحظ أن في بعض أقسام الخبر قسم لا يجوز أن يسمى بصدق ولا كذب، وذلك راجع إلى إضافته قيد القصد إلى تعريف كلٍ من الصدق والكذب، فلفظ الكذب ليس موضوعًا لعدم المطابقة كيف كانت بل لعدم المطابقة مع القصد لذلك، وبهذه الطريقة ثبتت الواسطة، فإنه قد لا يكون مطابقاً ولا يقصد ذلك ولا يعلم فلا يكون صدقاً لعدم المطابقة ولا كذباً لعدم القصد، واستدل على ذلك بالمنقول والمعقول:

المنقول ويتمثل في قول الله ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ ﴾ [سبأ: ٨] فانحصار دعوى النبوة بين الكذب والجنون، والمقابل للكذب هو الصدق، وحيث إن المقابل للكذب هو الصدق فدل على وجود ثالث بين الصدق والكذب وهو الجنون، ويكون الجنون لا صدق ولا كذب.

المعقول: ١ -ينبغي إضافة قيد القصد إلى تعريف الخبر، فيصير تعريف الصدق:) المطابق للمخبر مع القصد (، فإن من أخبر بأن زيدًا في الدار، على اعتقاد أنه ليس فيها، وكان فيها، فإنه لا يوصف بكونه صادقاً ولا يستحق المدح على ذلك، وإن كان خبره مطابقًا للمخبر .ولا يوصف بكونه كاذبًا لمطابقة خبره للمخبر.

٢- المدح والذم ليس على نفس الصدق والكذب لا غير، بل على الصدق مع قصده والكذب مع قصده؛ ولهذا فإن الأمة حاكمة بأن الكافر الذي علم منه اعتقاد بطلان رسالة محمد ﷺ صادق بإخباره بنبوة محمد لما كان خبره مطابقا للمخبر، وإن لم يكن معتقدً ا لذلك ولا قاصدً ا للصدق، وحاكمة بكذبه في إخباره أنه ليس برسول، وإن كان معتقدً ا لما أخبر به لما كان خبره غير مطابق للمخبر.

٣- أنه إذا جاز أن يفرض في الاعتقاد واسطة بين كونه علمًا أو جهلًا، لا يوصف بكونه علمًا، ولا جهلًا مركباً، كاعتقاد العامي المقلد وجود الإله تعالى، جاز أن يفرض بين الصادق والكاذب خبر ليس بصادق ولا كاذب.

=

لكن ألا يعني اليقين سداً لباب التعددية المعرفية، ألا يعني ذلك المفاضلة القائمة على التميز القائم على احتكار أحدنا للحقيقة دون الأخر، وهو ما يعبر عنه بالطبقية الفكرية؟ .

إن الحامل لهذه الطبقية يجد نفسه متورطًا في شيء من الازدواجية بين بنيته المعرفية وبين المقولة القاضية بأن "رأيي صحيح يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب[١]

ولا شك أن هذا النقد الموجه لمسألة اليقين في الفكر الكلامي الإسلامي قد شكّل نتيجة لتبني المناهج النسبية القادمة من الرؤية الغربية ومحاولة احياء الفكر السوفسطائي -باعتباره يعلي من قيمة الإنسان على حساب الفكر الديني- القائم على القول بنسبية الحقيقة القائمة، وعلى كون الإنسان مقياس كل شيء، والتي تأتي كنتاج لما قررته السوفسطائية من أن "الإنسان مقياس كل الأشياء، إنه مقياس لوجود الأشياء التي تكون، ومقياس لوجود الأشياء التي لا تكون ...فالأشياء تكون كما تظهر لك، وتكون لي كما تبدو لي"[٢] كما اعتبروا أن "الأقوال المتناقضة حقائق متساوية القيمة في اعتقاد أشخاص مختلفين أو في أزمنة مختلفة، والحقيقة كلها والخير والجمال أمور نسبية شخصية "ومثلوا لذلك بالريح التي تهب كل مرة

=

الرد عليه: أنه لا يلزم من انقسام الاعتقاد إلى علم وجهل مركب، وحالة متوسطة ليست علمًا ولا جهلًا مركباً، انقسام الخبر إلى صدق وكذب، وما ليس بصدق ولا كذب، إذ هو قياس تمثيلي من غير جامع، ولو كان ذلك كافياً لوجب أن يقال إنه أيضا يلزم من ذلك أن يكون بين النفي والإثبات واسطة، وهو محال. وبالجملة، فالنزاع في هذه المسألة لفظي، حيث إن أحد الخصمين يطلق اسم الصدق والكذب على ما لا يطلقه الآخر إلا بشرط زائد .ينظر: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ص١٧٨.

(١) مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، حيدر حب الله، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م ص٢٩: ٣١

(٢) المحاورات) محاورة ثياتيوس (، أفلاطون، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م، ٥/ ١٠٨.

وهي "واحدة بعينها ألا يرتجف الواحد منا والآخر ينشرح؟ أم يرتجف الواحد بلين والآخر بعنف، (فالنسمة في ذاتها باردة أم غير باردة؟ [١].

ثم انسحبت هذه النسبية على المجال المعرفي منادية بأن " المعرفة الإنسانية نسبية بين الذات العارفة والموضوع المعروف، وأن العقل الإنساني لا يحيط بكل شيء، وإذا أحاط ببعض جوانب الأشياء صبها في قوالبه الخاصة"[٢] وخلاصتها: "ترجع إلى القول أن العقل لا يستطيع أن يعرف كل شيء، فإذا عرف بعض الأشياء لم يستطع أن يحيط بها إحاطة تامة، وما من فكرة في العقل إلا كان إدراكها تابعًا لمعارضتها بفكرة سابقة مختلفة عنها أو شبيهة بها."[٣]

نحن إذاً أمام موقفين: أولهما يرى اليقين، والثاني يرى النسبية، والحقيقة أنه لا تعارض بين الرأيين فموردهما ليسا على نفس الشيء، فاليقين في المسائل الكلامية يرجع إلى الاعتقادات النابعة من الكتاب والسنة، ولهذا نستكمل المقولة السابقة لصاحب النقد (رأيي صحيح يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب) بالمقولة القائلة إذا صح الحديث فهو مذهبي.

أما مسألة النسبية فهي تخضع للعلوم الحياتية القائمة على البحث الحسي، ولهذا "تتجه فلسفة العلم المعاصرة لتأكيد نسبية المعرفة في باب العلوم الطبيعية، وإن كان ضمن معنى ضيق ليس هو ما يتبادر لأصحاب المعرفة العامة، ومع ذلك فلها أبعادها في بقية العلوم والأفكار والأيديولوجيات. وفي الغالب أن صاحب المنظور الإسلامي يتفق مع هذا الموقف

---

(١) السوفسطائية في الفكر اليوناني عرض ونقد، د/ محمد حسين النجم، ص ١١٧: ١١٨.

(٢) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا ٢/ ٤٦٦.

(٣) السابق.

النسبوي، ويراه صحيحًا ما دام الأمر يتعلق بما يتصوره البشر عن العالم من حولهم وما يقومون به من عمل وفق مبادئهم وقيمهم التي يتفقون عليها بعيدًا عن المصدر السماوي، فمهما بلغت عقلية الفكرة وعلميتها فهي محكومة بحدود البشر."[١]

وهو ما يؤكده صاحب أصول الفلسفة والمنهج الواقعي بأن كليات المبادئ العقلية حين تأخذ مقدماتها من العلوم نظير الفلك والجواهر والأعراض والبحوث الأخرى فهي في تحول وتغير بتحول وتغير الفروض العلمية.

ومنشأ هذا من الاعتقاد يتضح من خلال السؤال الآتي: هل الحقيقة مؤقتة أو دائمة؟ وفي إجابة الشيخ الطباطبائي عن هذا السؤال نجده يتكأ على الواقع في إجابته قائلاً: " إذا كان الواقع في أحد أشكاله مؤقتًا استنادًا إلى أن المادة وأجزائها في حالة تغير فإن هناك لون آخر من الواقع دائم كظاهرة الحركة التي تخضع لها المادة.[٢]

وباجتماع الفكرتين السابقتين المؤسستان على (الديمومة والتغير) تصبح المسألة عندنا عبارة عن زيادة وضوح للحقيقة أو ما يعرف بالتغيير التكاملي[٣] ويضرب مثالا لذلك بحقيقة تاريخية (سقراط تلميذ لأفلاطون، هذا الحقيقة لا يمكن أن تتغير على مر العصور والأزمان، لكن يمكن أن تتسع دائرة المعلومات فنضيف معلومات جديدة ككونه تتلمذ على يديه في سن الثامنة عشر مثلًا، وعلى هذا فالحقائق الغيبية يقينية تبعًا لمصدرها، بينما الحقائق المشاهدة نسبية تبعًا لأدوات بحثها.

---

(١) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها – دراسة نقدية، حسن ابن محمد حسن الأسمري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ٢/ ١٠٣٩.

(٢) أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، محمد حسين الطباطبائي، ١/ ٢٠٨.

(٣) السابق، ١/ ٢١٢.

المطلب الثالث

(مراعاة الكيفيات والدوافع)

يعتبر تحديد الكيفيات ودوافعها أحد أهم الشروط اللازمة لتناول المسائل المستحدثة في علم الكلام، خاصة وأن العلم في اعتماده على المحسوس يكتفي بعرض ما توصل إليه ضمن منهج.

١ – المناقشات التي دارات بين الأستاذ سعيد فودة والدكتور محمد باسل الطائي على منتدى الأصلين في تفسير الفيزياء الحديثة لمسألة العدم والتي يمكن تلخيصها في أن النتائج الفيزيائية تقتضي وجود قوى كامنة في العدم حسب فهم الشيخ سعيد لعبارة الدكتور الطائي، وهو ما حدا بالشيخ سعيد إلى أن يعقد مقارنة بين ما طوعه الدكتور هشام غصيب من المسألة في ميله للفكر الماركسي، وما طوعه الدكتور الطائي للقول بالفاعلية الإلهية، ولا يهمنا هنا جزئيات المناظرة بقدر ما يهمنا من كلياتها الحاكمة عليها وهي الرؤية التفسيرية والدافعية لقراءة النص وفق كليات كل مذهب

٢ – المنطلق الذي انطلق منه كلٌ من فرويد ويونج في بيان مسألة الارتباط بين علم النفس والدين من خلال تفسير الدين على القواعد الخاصة بالتحليل النفسي، والتي خلص من خلالها فرويد إلى أن الدين عصاب وسواسي، وهو أثر جماعي من الآثار التي خلفها ذبح الأب في القبائل البدائية، بينما خلص يونغ إلى أن الدين أمر إيجابي شافي قدسي مسبوقًا بالعلة الإلهية.[١]

ومن خلال استدعاء الماضي يمكننا التمثيل بما حدث مع الإمام الغزالي من تحديد

---

(١) ينظر: علم نفس الدين قراءة تحليلية في تنظيرات فرويد ويونغ، مسعود أذريبجاني، مجلة الستغراب، ٢٠١٦م، بدون، ص ٦٢.

الكيفيات الخاصة بالمنطق الأرسطي وتخليصه من ميتافيزيقا أرسطو، كما يستدعي ذلك ما فعله المتكلمون من إضافات لدليل الإمكان للخروج به من القول بالقدم والوجوب على الله إلى القول بالحدوث وطلاقة القدرة الإلهية، وهو ما يعرف فلسفيًا بظاهرة التشكل الكاذب.

المطلب الرابع

(مراعاة شروط التغير ووفق أي مفهوم يتم)

إذا كان علم الكلام واقعي والواقع متغير فينبغي مراعاة شروط التغير التي تفضي إلى كليات علم الكلام، والتي تعترف بصراع المتناقضات كصراع في الواقع المحسوس تعقبها رؤية استحالية للتناقض، وكذا قولها بالتضاد في الحركة وفي التكامل لا في الحركة وحدها[١] وهو ما يجعلها تختلف عن الرؤية الحداثية القائمة في كثير من جوانب فلسفتها على التفسير الماركسي للحركة بما يجعلها تقول بالقوة الكامنة، ومن هنا يمكننا تحديد قيد الواقع السابق ب "التأثير في الحياة وربطها من خلال حركة التجديد بالمفاهيم الكلية الثابتة في التراث بعد إعادة تشكيل المفاهيم المرنة وتطويعها لتساهم في حل مشكلات الحياة المعاصرة."[٢]

وقد أشار القرآن الكريم إلى خاصية الثبوت في قوله تعالى: ﴿ ۞شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ الشورى: ١٣، وإلى خاصية التغيير والتجديد في قوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

---

(١) ينظر فلسفتنا محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م، ص٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) ينظر: التراث والتجديد، الإمام الأكبر أ. د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر، دار القدس العربي، ط٢، ٢٠١٦م، ص٤٢ .

المبحث الثالث

التجديد في مسائل علم العقيدة

ويشتمل على الآتي:

المطلب الأول: واقعية علم الكلام

المطلب الثاني: التجديد بتأريخ بعض المسائل

المطلب الثالث: التجديد بإضافة بعض المسائل (التعددية الدينية) .

المطلب الرابع التجديد في عرض بعض المسائل (النبوات) .

المطلب الخامس: التجديد في المنهج (المنهج التجريبي).

المبحث الثالث
التجديد في مسائل علم العقيدة(١)

المطلب الأول
واقعية علم الكلام

نصوص تأسيسية:

١ – يقول الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ٣٨ ويقول ربنا: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣

٢ – دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر .... وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين.(٢)

٣ – يقول ابن خلدون: "ينبغي أن يعلم أنّ هذا العلم الّذي هو علم الكلام غير ضروريّ لهذا العهد على طالب العلم، إذ الملحدة والمبتدعة قد انقرضوا، والأئمّة من أهل السّنّة كفونا شأنهم ... لكنّ فائدته في آحاد النّاس وطلبة العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسن بحامل

---

(١) أحد المسائل التي شغلت الكثير من المفكرين خاصة المهتمين بالتأسيس لعلم كلام جديد، وهم وإن اتفقوا في العنوان الكلي لكنهم اختلفوا في الإجراءات التطبيقية وذلك راجع إلى حداثة الفكرة. ينظر: التراث والتجديد، الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر، دار القدس العربي، ط٢، ٢٠١٦م. ومدخل إلى المسائل الجديدة في علم الكلام، الشيخ جعفر السبحاني، قم، مؤسَّسة الإمام الصادق، ١٣٧٥هـ، وتحليل مفهوم التجدد في الكلام الجديد، د/ أحد فرامرز قراملكي، ترجمة: حبيب فيَّاض، مجلَّة المنطلق، ع ١١٩ خريف وشتاء ١٩٩٧ – ١٩٩٨م.

(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، بدون، ١/ ٤٨.

السّنّة الجهل بالحجج النّظريّة على عقائدها"[١]

من خلال نصي الشهرستاني وابن خلدون للسائل أن يطرح سؤالاً مفاده: هل يأتي الفكر استجابة للواقع وفق بعض الأطروحات أم يجب قراءة الواقع وفق النص القرآني الأول؟

الناظر إلى الرؤية الفكرية يجد اتفاقها على واقعية الفكر الكلامي، بمعنى صلة هذا العلم بحياة المسلمين فكريًا او سلوكيًا، "وبهذا المعنى فإن الفكر الكلامي ظل طيلة أربعة قرون بعد نشأته في أوائل القرن الثاني فكرًا واقعيًا شديد الواقعية، إذ تعتبر قضاياه ناشئة من أحداث ونوازل طرأت على المجتمع الإسلامي بسبب ثقافي، أو سياسي، أو اجتماعي."[٢]

هذه الواقعية تتحدد بإطار الوحي الشريف، وذلك من خلال "ما اتخذ هذا المجتمع لنفسه من مرجعية شاملة هي مرجعية الوحي الديني، فنشأت القضايا الكلامية تعالج ذلك التوتر في حياة المسلمين، وتهدف إلى توجيه الحياة بحسب ما يلائم مرجعية الوحي."[٣]

وفي ضوء ذلك يمكننا القول بأن العقيدة الإسلامية بأبعادها (الله، العالم، الإنسان، اليوم الآخر) وما يستتبع ذلك من تفريعات قد تشكلت في الوجدان الإسلامي ببعثة سيدنا النبي ﷺ واكتمل هذا التشكل باكتمال الوحي والبعثة. هذا التشكل ظل صافيًا في مصدره وفي معتقده فترة النبوة وقليل بعدها، ثم طرأت بعد ذلك عوارض لا تمس أساس العقيدة، ولكنها تعتبر تفسيرات تقترب وتبتعد عن مدلول النص وفق كل مذهب وكل مدرسة، وأجدني مضطرًا للوقوف مع ابن خلدون من خلال نصه -مع كامل التحفظ على قيد الأهمية- في انتقاله من المرحلة الواقعية إلى ضرورة الحفاظ عليها عن طريق طلبة العلم، حيث لا يحسن الجهل

---

(١) ديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، تحقيق، خليل شحادة، ص٥٩١.

(٢) واقعية المنهج الكلامي ودورها في مواجهة التحديات الفلسفية المعاصرة، د. عبد المجيد النجار، مجلة المسلم المعاصر، بيروت، لبنان، العدد ٦٠، ١٩٩١.

(٣) السابق

بالحجج النظرية على العقائد والتي يمكننا التأسيس عليه لوقتنا الحاضر، فإذا كان النص يرى أن تغير الرؤية الواقعية كفيل بالانصراف عن مسائل تتعرض للملاحدة والمبتدعة –بداعي الانقراض في عصره– فمن باب أولى إضافة المستجدات إلى هذا العلم مع الأخذ في الاعتبار القيد الذي اعتبره ابن خلدون وهو كليات الحجج النظرية على العقائد.

هذه الواقعية تفرض علينا عدة أمور، من أهمها:

- (مراعاة مستوى المعلومات في عرض المسائل) فالرؤية الواقعية لعلم الكلام تفرض علينا التجديد في عرض المسائل وفق تطور النمو الطبيعي والثقافي عن طريق "مراعاة مستوى المعلومات بالنسبة لمستوى النمو العقلي والعلمي ....[(١)] ولهذا ورد عن سيدنا ابن مسعود "وما أنت بمحدث حديثا قومًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"[(٢)] خاصة في ظل القطيعة المعرفية التي أحدثتها المتغيرات الحديثة لدى المتخصصين فضلًا عن طلاب العلم، فعلم الكلام في ثوبه القديم يفرض على قارئه الإحاطة بشيء من علم الفلك، والحساب، والهندسة، ودقيق معارف العصر من الطبيعيات، وهو ما يندر توفر وجوده الآن، وعلى هذا ينبغي مراعاة التدرج في التأليف، ومراعاة حال المخاطب، والانتقال من خلال الموجود إلى النتائج المرجوة، خاصة وأن موضوع علم الكلام في أوسع دوائره المعلوم من حيث يوصل إلى إثبات العقائد.
- (الرؤية التكاملية) حيث يتوجب النظر إلى المسائل الكلامية وفق الرؤية التكاملية، فعلم الكلام أحد العلوم التي تعمل داخل المنظومة الاسلامية المحددة في (الإيمان،

---

(١) جوانب التربية العقلية والعلمية في الإسلام، د/ مقداد يالجن، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٩٨٢م، العدد ٣١

(٢) صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١/ ١١ ح ٤

الاسلام، الإحسان) والتي تعمل وفق منهج تكاملي ظهر جليًا في جوانبه التطبيقية من خلال المؤلفات الكلامية في طور من أطوارها حين ابتدأت بالفقه، ثم العقائد، ثم التصوف، كما يظهر في الصياغة التعريفية لعلماء المسلمين بأن العالم الفلاني (شافعي مذهبًا، أشعري عقيدة، أحمدي سلوكًا) وهو ما يمكن أن يساعد في مسألة التجديد من خلال امتزاج العقلي بالوجداني.

وعلى هذا فإن تحميل علم الكلام لمسألة القصور في تناول المسائل أرى والله أعلم أنه نابع من تأثر بالمنهجية الغربية التي تؤسس لنفسها اليوم علم لاهوت جديد تحاول من خلال شموليته دراسة كافة أوجه الحياة وفق الرؤية الإنسانية الغربية.

وبعد هذا العرض يأتي التساؤل إذا كانت الرؤية الكلامية رؤية واقعية والواقع متغير[1]، وإذا كانت الرؤية التكاملية للعلوم تقتضي التغيير إما بالإضافة أو الحذف، فإننا نجد أنفسنا أمام مسائل جديدة ومناهج جديدة تبعًا لتطورات العصر تقتضي البحث، ونبدأ بالحديث عن المسائل فنقول وبالله التوفيق:

المسائل الكلامية الجديدة المستقلة: والتي لي لها جذورر في الكلام التقليدي، لأنها وليدة الأجواء المعاصرة بالكامل.

المسائل الكلامية الجديدة المشتركة: وهي المسائل المعرفية التي لها أصول في الكلام التقليدي، إلا أنها طرحت بشكل حديث حاملة لتصورات جديدة غير معهودة.

وعلى هذا فإن التجدد يتنوع معنا تبعًا لما يلي:

التجديد بتأريخ بعض المسائل: المسائل المطروحة في علم الكلام والتي فرضتها طبيعة

(١) علم الكلام ... ضرورات النهضة ودواعي التجديد، مجلّة «الحياة الطَّيِّبة»، بيروت، لبنان ط١، - ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص٤٦.

عصرها ولم يعد لها حاجة لا يمكننا النظر إليها إلا باعتبارها جزءاً من تاريخ الفكر الإسلامي، فقيمة البحث هنا قيمة تاريخية لا واقعية، إضافة إلى ذلك هناك بعض القضايا التي تبناها المتكلمون بناء على أسس منهجية من معارف العصر أو مستقر العادة أو غير ذلك من بعض مناهج الاستدلال والتي تغيرت بتغير الزمن مما يقضي دراسة تلك المسائل وفق التطور التاريخي لتطور العلم.

التجديد بإضافة بعض المسائل (التعددية الدينية): تشكلت البنية التأليفية لعلم الكلام من خلال (الإلهيات، والنبوات، والسمعيات) تسبقها مقدمات مؤسسة لتلك المباحث، هذه البنية ونزولًا على ظروف الواقع تشكلت معها وأضيفت إليها بعض القضايا التي فرضتها الرؤية الجدلية مع الآخر من خلال دلو علم الكلام بدلوه في القضايا المطروحة اليوم كـ (العلاقة بين الدين والعلم، والدين والأدلجة، والدين والأسطورة، والدين والمرأة)، هذه القضايا يتم دراستها وفق الثوابت سواء كانت مسائل أو قضايا كلية وفق الوظيفة الدفاعية لعلم الكلام، ومثال ذلك التعددية الدينية. فالناظر في المؤلفات العقدية لعلم الكلام يجد أن مثل هذه القضية لم تكن موجودة قبل ذلك، ويرجع السبب إلى اختلاف النظرة إلى مفهوم الدين والثمرة المرجوة منه، كما يرجع في الأساس إلى محاولة إنتاج دين عقلي يكون الدين ثمرة له

وإذا كانت هذه المسألة لم تكن حاضرة في المؤلفات الكلامية بالإجمال نظرًا لأن طرح مثل هذا المسائل كان يعد مخالفًا للإجماع المتعارف عليه بين العقلاء في هذا الوقت، فضلًا عن أن مثل هذا الطرح يعتبر -أيضًا- من سبيل السفسطة نظرًا لمحاولة جمعه بين النقيضين، ولهذا وجدنا البراعة الكلامية الإسلامية تجعل هذا من قبيل الباطل الذى لا يجوز الالتفات إليه، حيث تم اخيار لفظ إثبات العقائد في علم الكلام وعلل الإيجي ذلك بقوله" ثمرة الكلام إثباتها على الغير وأن العقائد يجب أن تؤخذ من الشرع ليعتد بها وإن كانت مما يستقل العقل

فيه ولا يجوز حمل الإثبات ههنا على التحصيل والاكتساب، إذ يلزم منه أن يكون العلم بالعقائد خارجًا عن علم الكلام ثمرة له ولا شك في بطلانه."[١]

ومن هنا يمكننا القول بأنه لما تغيرت المنهجية استجدت معها بعض المسائل ونشأت معها بعض الاجتهادات فالبنسبة لعلم الكلام الإسلامي يمكننا استعراض الأمر من خلال منهج مقارن على النحو التالي:

- الفكر الحداثي: عقلانية قائمة على النسبية تقتضي وجود تعددية دينية وفق قانون المحبة، وعلى هذا فـ"أديان العالم الكبرى هي استجابات متنوعة لحقيقة إلهية واحدة، وليس الاختلاف بينها إلا اختلاف ظرف نابعًا من ظروف الثقافة واللغة والعادات داخل التكوين الحضاري الذي يحضن كل دين"[٢]، وهو ما يؤكد لنا أن هذه الفكرة قائمة على "سلب اليقين الديني والخوض في شكاكية مطلقة في ساحة الدين. ولهذا اعتبر أن العودة التاريخية للتعددية تصلنا بهذا التصور الذي ظهر أثناء عصر النهضة في أوربا"[٣]

اختلاف المآلات التي تبنتها رؤية التعددية الدينية عن منطلقات الدين الاسلامي، والتي يمكن تحديدها بـ: عقلانية قائمة على اليقين تقتضي وجود وحدة دينية وتعددية تنوعية على وفق قانون المسامحة، والتي يمكن أن تتحدد معنا وفق ما يأتي:

١ – التوحيد الذي هو شعار الدين الإسلامي: (قل هو الله أحد) .

---

(١) كتاب المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – لبنان – بيروت، ط١، ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ١/ ٣٣.

(٢) التعددية الدينية نظرة في المهذب البلورالي، ، حيدر حب الله، ط: دار الغدير لبنان بيروت، ط أولى4.: م. ص٤١١١ هـ، ص٩١

(٣) التعددية الدينية، رؤية نقدية، محروط محمد محروط بسيوني، مجلة طيبة، جامعة قطر، السنة السادسة، العدد ٢، ١٤٣٨، ص٤١٨

٢ - التنوع البشري ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ هود: ١١٨، ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨.

٣-التعاون: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ المائدة: ٢، أو التدافع ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ البقرة: ٢٥١.

٤-وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل.

٥-حرمة الإكراه في الدين.

ومن هنا نجد أن التعددية الحداثية تختلف عن التعددية الإسلامية في نقاط أهمها:

- تفتت الجماعة الدينية بظهور أديان جديدة كالقاديانية، والدين المدني، والدين الأسطوري
- زعزعة الاستقرار الاجتماعي بزعزعة مركز الدين السائد في المجتمع بناء على مقولة تساوي الأديان.
- إنزال المقررات الدينية عن مكانتها العالية إلى النسبية واختزال الدين في القيم الروحية بالخالق أو إلغاؤه على الإطلاق.[١]

التجديد في عرض بعض المسائل (النبوات):

لا تزال بعض القضايا في علم العقيدة تحمل في طياتها الزخم نفسه الذي نشأت به منذ ألف عام، بنفس الحجج، وبنفس الشبه، والردود وصدق سيدنا النبي ﷺ حين سأل رجلًا من أصحابه " كيف تقول في الصلاة؟ قال: أتشهد، وأقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ: حولها ندندن "[٢].

(١) التعددية الدينية من وجهة نظر اسلامية، د حسن الشافعي، ص١٠: ١١

(٢) سنن أبي داود، أبو داود السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – =

وكذا الحال في بعض قضايا العقيدة فما تزال مسألة النبوة تبحث على عدة أسس (الاحتياج البشري للمعرفة، خصوصية النبيﷺ عن غيره، إقامة فكرة الإعجاز على مبدأ الإمكان)، وما تزال الشبه قائمة على نفس المنوال وهو استخدام الجانب النفسي، إما في رفض النبوة، أو في الخروج عن معناه الشرعي، وأدلل على ذلك بنصين:

النص الأول للفلاسفة في الماضي أقام الفلاسفة تفسيرهم للنبوة على أسس نفسية، وينقل لنا صاحب المقاصد ذلك بقوله"الإنسان مدني بالطبع، أي محتاج في تعيشه إلى التمدن، وهو اجتماعه مع بني نوعه للتعاون والتشارك ...وهذا الإنسان هو الذي يجتمع فيه خواص ثلاث هي: الاطلاع على المغيبات، وظهور خوارق العادات، ومشاهدة الملك مع سماع كلامه، ومعنى ذلك على ما شرحه في الشفاء وغيره أنه يكون كاملًا في قوته النفسانية، أعني الإنسانية والحيوانية المدركة والمحركة، بمعنى أن نفسه القدسية بصفاء جوهرها، وشدة اتصالها بالمبادئ العالية المنتقشة بصور الكائنات ماضيها وحاضرها وآتيها، وقلة التفاتها إلى الأمور الجاذبة إلى الخسة السافلة، تكون بحيث يحصل لها جميع ما يمكن للنوع دفعة أو قريبا من دفعة إذ لا يحل هناك ولا حتجاب وإنما المانع هو انجذاب القوابل إلى عالم الطبيعة وانغماسها في الشواغل عن عالم العقل، وإن قوته المتخيلة تكون بحيث يتمثل لها العقول المجردة صورًا وأشباحًا يخاطبونه ويسمعونه كلامًا منظومًا محفوظًا وأن قوته المحركة تكون بحيث يطيع لها هيولي العناصر فيتصرف فيها تصرفها في بدنها، فيعنون بالخصائص هذه القوى وبمشاهدة الملك هذ المعنى."[1]

وتعجب من الفكر الحداثي حين يبني أسسه على شبه تلك الحجج في التفسير النفسي

=

بيروت، حديث رقم ٧٩٢، ١/ ٢١٠

(١) المقاصد، سعد الدين التفتازاني، دار المعارف العثمانية، باكستان، ٢/ ١٨٠: ١٨١

لظاهرة النبوة، يقول نصر حامد أبو زيد: "إن تفسير النبوة اعتماداً على مفهوم الخيال معناه أن ذلك الانتقال من عالم البشر إلى عالم الملائكة انتقال يتم من خلال فاعلية المخيلة الإنسانية التي تكون في الأنبياء -بحكم الاصطفاء والفطرة- أقوى منها عند من سواهم من البشر، فإذا كانت فاعلية الخيال عند البشر العاديين لا تتبدى إلا في حالة النوم وسكون الحواس عن الاشتغال بنقل الانطباعات من العالم الخارجي إلى الداخلي، فإن الأنبياء والشعراء والعارفين قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم على السواء، وليس معنى ذلك -بأي معنى من المعاني- التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة المخيلة وفاعليتها، فالنبي ﷺ يأتي دون شك على قمة الترتيب، يليه الصوفي، ثم يأتي الشاعر في نهاية الترتيب"[1]، وعلى ذلك لا يبقى عندنا غير تغيير طريقة العرض تبعًا للردود على الموجدين اليوم وإن كانت الأسس باقية.

التجديد في المنهج (المنهج التجريبي):

تشكل مسألة زيادة وضوح الحقيقة والتغيير التكاملي الأساسَ والمنطلقَ لفهم مسألة المنهج التجريبي واعتماده كأحد المناهج التي يمكن من خلالها تجديد علم العقيدة، ويتضح هذا من خلال الإجابة عن السؤال الآتي: هل توصل المسائل التجريبية إلى اليقين وعلى هذا تتحد مع علم العقيدة في غايتها، أم أنها علوم تتسم بالتغير والتبدل؟ وللإجابة عن هذا السؤال نستعرض الآتي:

يعتبر فرض الفروض والتحقق من مدى صحتها الأساسَ الذي ينبني عليه العلم التجريبي، ويأتي الانسجام مع الواقع العملي والثمرة العملية كدليل على صحة الفرض ومطابقته للواقع، لكن هل يعنى هذا خضوع الأمر لقيمة الصدق والكذب كنتيجة للصحة

(١) مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، ص٤٩.

والخطأ؟

نقول إن خضوع العلم التجريبي لقيمتي الصدق والكذب الموصلتان لليقين يأتي استجابة لمتغيرات العصر والتي تعني إمكانية التحول من الصدق إلى الكذب أو العكس[١] لهذا جاء تبني مبدأ اللايقين لهانزنبرج القائل بأننا لا نستطيع مطلقًا تحديد موضوع الالكترون وسرعته بدرجة كافية سببًا للانتقال إلى اللايقين التجريبي واللاحتمية والانتقال للمنطق الاحتمالي متعدد القيم[٢].

وعلى هذا يمكننا القول بأن العلم التجريبي تقف مهمته عند فرض الفروض والتحقق منها في ضوء القواعد الجزئية، أما ما ينبي على ذلك من تعميمات وعقائد فإنه يخضع للقواعد اليقينية.

ومن ثم فإن العلم التجريبي تنحصر مهمته وفق رؤيتنا المحدودة في:

١ – الاستئناس أو التكامل المعرفي، لكنه لا يمكن اعتباره رأسًا بذاته، ويتضح هذا من اكتساب بعد الرؤى الكلامية قوة نتيجة لمعارف العصر الحديث، مما يقتضي إعادة عرضها على وفق هذا المعارف، وذلك كمسألة حدوث العالم، والتي كانت في الماضي مسار نقد شديد من الفكر الفلسفي لمآلاتها التي تخالف مسألة القدم والوجوب وغيرها من ميتافيزيقا الفلسفة، والذي اعتبره الشيخ سعيد فودة من "أقوى الأدلة وأحقها بالاهتمام به في هذا العصر، لأنه يكاد يكون اكتشافًا خاصًا لمتكلمي الإسلام، ولا يوجد حتى الآن أمر واحد يعارضه معارضة ثابتة، وفي المقابل توجد شواهد عقلية وتجريبية ونقلية على سلامته وصحة

(١) المنطق متعدد القيم بين درجات الصدق وحدود المعرفة، د/ صلاح عثمان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص١٩.

(٢) السابق ص٢٤.

مقدماته."[1]

٢- قابلية التأويل لنتائج المنهج التجريبي ويتضح هذا من خلال المناقشات التي دارات بين الأستاذ سعيد فودة والدكتور محمد باسل الطائي على منتدى الأصلين في تفسير الفيزياء الحديثة لمسألة العدم، والتي يمكن تلخيصها في أن النتائج الفيزيائية تقتضي وجود قوى كامنة في العدم حسب فهم الشيخ سعيد لعبارة الدكتور الطائي، وهو ما حدا بالشيخ سعيد إلى أن يعقد لنا مقارنة بين ما طوعه الدكتور هشام غصيب من المسألة في ميله للفكر الماركسي، وما طوعه الدكتور الطائي للقول بالفاعلية الإلهية، ولا يهمنا هنا جزئيات المناظرة بقدر ما يهمنا من كلياتها الحاكمة عليها، وهي الرؤية التفسيرية والدافعية لقراءة النص وفق كليات كل مذهب.

٣- السؤال المطروح هنا ويمكن اعتباره فرضية علمية تجيب عنها المناهج التجريبية: هل يعتبر اليقين الديني لا سيما الدين الإسلامي باعتباره الدين الخالي من التحريف ضامنًا للفروض العلمية في ضوء معطيات النص القرآني وفهمه فهمًا صحيحًا؟ وبعبارة أخرى: إذا كان الفكر الكلامي مُحدد بالعقيدة الإسلامية، والعقيدة الاسلامية صحيحة ويقينية فهل يعد الاقتراب من فهم هذه العقيدة فهمًا صحيحًا ومحاولة التدليل عليها باستخدام الحقائق التجريبية ضامنًا لتلك الحقائق؟ وللإجابة عن هذا السؤال تأتي محاولات الدكتور باسل الطائي في مشروعه الفكري لطبيعيات المتكلمين، ومثالًا على ذلك أن الاختيارات الكلامية في كثير من اجرائتها جاءت موافقة للمنهج التجريبي الحديث ولو بنسبة كبيرة نتيجة لدخولها دائرة التقيد بالوحي الإلهي، فمسألة ذبول الشمس التي نادى بها الغزالي في مقابل الفلاسفة

(١) الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة، د/ سعيد فودة، الأصلين، ط٢، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦، ص٤٣٦.

انطلاقًا من أن كل شيء هالك، ومسألة التناهي والذرة التي انطلق منها الفكر الكلامي بناءً على أن ربنا أحصى كل شيء عددا، جاء العلم الحديث موافقًا لها في كلياتها[١].

وفي الختام يمكننا القول:

إذا كانت الواقعية قد لعبت دورها في التبويب والتأسيس للمسائل الكلامية، فإنها واقعية محكومة بكليات النص الديني وفق الشروط السابقة، والسؤال الآن هل يمكن القول بأن ذلك عبارة عن فلسفة علم الكلام في ضوء القضايا المطروحة؟ وما الفرق بين ذلك والكلام المفلسف؟ إن القول بفلسفة علم الكلام أو في عموم التعبير فلسفة الدين تقتضي أن يسير ذلك وفق القانون الفلسفي خارج أي حدود، فلا فواصل أما القول بعلم الكلام المفلسف فهو عبارة عن تزواج وفق آليات الفكر الكلامي، وبهذا تصبح الفواصل لازمة.

إضافة لذلك فإن الباحث يرى أن اعتماد المنهج التجريبي في التأسيس للمسألة الكلامية والدلالة عليها وسرده داخل مسألة الدفاع لا يعدو أن يكون هو دليل العناية والنظام الذي استخدمه المتكلمون فإن أقصى ما يمكن الوصول إليه هو التفكر في بديع الصنع وترتيبه والانتقال من هذا النظام البديع الذي حاول العلم التجريبي الوصول إلى طريقة عمل جزئياته إلى وجود صانع حكيم فاعل وهو ما يعد من قبيل استبدال المصطلح.

---

(١) استعرض الدكتور الطائي بعد هذه المسائل في كتابه: دقيق الكلام (الرؤية الاسلامية لفلسفة الطبيعة)، ، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠١٠م. ٨٤، ٢٧٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي جعل لكل بداية نهاية، ولكل مقدمة خاتمة وغاية له وحده الكمال والرفعة، والصلاة والسلام على خير البرية، ومعلم الإنسانية، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فهنا يحط القلم رحاله محاولًا استخلاص أهم النتائج والتي تتحدد معنا فيما يلي:

- مسألة التجديد في علم الكلام هي مسألة ذاتية وليست عرضية، اقتضتها طبيعة هذا العلم تبعًا لطبيعة النشأة.

- انتقال علم الكلام من مرحلة الدفاع إلى التفكير والتعمق في المسائل الفلسفية.

- اختلاف منطلق فلسفة الدين عن علم الكلام تبعًا لرؤية كل منهما فعلى حين تنطلق فلسفة الدين من مقولة المعرفة، ينطلق علم الكلام من مقولة الوجود، لهذا نشأت قضايا غربية تستبعد الوحي كمصدر للمعرفة وهي غير مطابقة لما هو داخل البيئة الإسلامية.

- صلاحية الدين الاسلامي عامة وعلم الكلام خاصة لمواكبة الجديد بشرط التخلص من الدوافع الخبيثة من ناحية، والاعتماد على مصدر يقيني، من ناحية أخرى ينبغي التمييز أيضًا بين ما هو يقيني الدلالة وما هو ظني فالتشبث بالتقدم الحضاري في الغرب واستدعاء تغيير القائم نتيجة لهذا التقدم يصح في حالة يقينية النتائج المترتبة.

- لا نهائية مسألة التجديد تبعًا للانهائية جزئياتها، لكن الخلاف في ضوابط هذا التجديد، هل هو تجديد في الفضاء المطلق بلا أى حدود أو معالم أو وفق ضوابط معروفة مجمع عليها بين الجميع؟

- ضرورة مراعاة الخصوصية الغيبية للدين الإسلامي والطبيعة النقلية لعلم الكلام.

- أصالة الرؤية الإسلامية في التوحيد بين الوحي الإلهي والعلم باعتبارهما يحملان

المعنى ذاته.

- واقعية المنهج الكلامي هي أساس التعامل مع القضايا المستجدة كشد الزنار، والتعددية الدينية، والنبوات، والمنهج التجريبي.

التوصيات:

- لا تزال الحاجة ماسة إلى دراسة كافة أشكال التطور الكلامي في العصر الحاضر، لا سيما وأن هذا النوع من الدراسة قد لقى رواجًا في بلاد ما وراء النهرين والمغرب العربي، وهو ما اتضح معنا من خلال المراجع المعتمد عليها مما يستدعي زيادة التأصيل ومحاولة وضع منهجية تتفق مع يقينية العقيدة الإسلامية.

- تسليط الضوء على أصالة الرؤية الإسلامية في الوحدة مع العلم وعدم وجود قطيعة مع كليهما.

- توصي الدراسة كذلك باستكمال عرض قضايا جزئية وفق دراسة مقارنة، واستخراج الحلول التي تجمع بين القديم والحديث من خلال توضيح الفرق بين المنطلق الغربي والإسلامي بما يؤكد مسألة الهوية والتميز.

وأخيرًا: إن هذا البحث ما هو إلا مساهمة متواضعة، وما هو إلا جهد بذلته، وعند الله ادخرته، فإن كنت قد وافقت الصواب فبتوفيق الله وتسديده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وإن كانت الأخرى فحسبي أني بذلت غاية الجَهد.

المصادر والمراجع

١) القرآن الكريم.

٢) السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

٣) صحيح الإمام مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤) سنن أبي داود، الامام أبو داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت،

٥) الاجتهاد الكلامي، مناهج ورؤى متنوعة في الكلام الجديد، (أزمة الكلام الجديد في إيران) أحمد قراملكي، دار الهادي، ط١، ٢٠٠٢،

٦) الأدلة العقلية على وجود الله بين المتكلمين والفلاسفة، د/ سعيد فودة، الأصلين، ط٢، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦، ص٤٣٦

٧) الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان،

٨) أصول الفلسفة والمنهج الواقعي، محمد حسين الطباطبائي، تقديم مرتضى مطهري، ترجمة عمار أبو رغيف، المؤسسة العراقية للنشر والتوزيع، بدون

٩) التراث والتجديد، الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب شيخ الأزهر، دار القدس العربي، ط٢، ٢٠١٦م

١٠) التعددية الدينية من وجهة نظر اسلامية، د حسن الشافعي

١١) التعددية الدينية نظرة في المهذب البلورالي، ، حيدر حب الله، ط: دار الغدير لبنان بيروت، ط أولى4.: م.ص٤١١١ هـ،

١٢) الحيوان، الجاحظ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ٢

١٣) دقيق الكلام (الرؤية الاسلامية لفلسفة الطبيعة) د/ محمد باسل الطائي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ٢٠١٠م،

١٤) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون

١٥) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار بن كثير، دمشق

١٦) السوفسطائية في الفكر اليوناني عرض ونقد، د/ محمد حسين النجم

١٧) شرح العقائد النسفية، سعد الدين التفتازاني، بدون

١٨) شرح مختصر المنتهى الأصولي للإمام أبي عمرو عثمان ابن الحاجب المالكي، عضد الدين عبد الرحمن الإيجي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

١٩) صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن حَبَنَّكَة، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٢٠) علم الكلام الجديد وفلسفة الدين، علم الكلام الجديد الشيخ عبد الجبار الرفاعي، دار الهادي، ط٢، ٢٠٠٨م

٢١) علم الكلام في إطار التحوّل: الكلام الجديد على امتداد الافكار، على أوجبي

٢٢) علم كلام جديد، شبلي النعماني، ترجمه للفارسية: سيد محمد تقي فخر داعي كيلاني، طهران ١٣٢٩ ش.

٢٣) الفكر التغريبي العربي في التعامل معها - دراسة نقدية، حسن بن محمد حسن الأسمري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

٢٤) الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الاسلامية، يحي هاشم فرغلي، مطبوعات جامعة الامارات المتحدة، ١٩٩٨م

٢٥) فلسفتنا محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م.

٢٦) القرآن الكريم والعلم المعاصرد. موريس بوكاي.
٢٧) مجموعة رسائل الشريف المرتضى، نشر دار القرآن الكريم في قم.
٢٨) مدخل إلى المسائل الجديدة في علم الكلام، الشيخ جعفر السبحاني، قم، مؤسَّسة الإمام الصادق، ١٣٧٥هـ
٢٩) مدخل جديد إلى فلسفة الدين، مصطفى النشار، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ٢٠١٥م
٣٠) مسألة المنهج في الفكر الديني وقفات وملاحظات، حيدر حب الله، الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م
٣١) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، سعد الدين التفتازاني، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣
٣٢) معالم أصول الدين، الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الكتاب العربي، لبنان
٣٣) المعتزلة، زهدي جار الله، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، القاهرة ١٩٧٤
٣٤) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا.
٣٥) مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد.
٣٦) المقابسات، أبو حيان التوحيدي، تحقيق، حسن السندوبي، دار السعادة، ط٢، ١٩٩٢
٣٧) المقاصد، سعد الدين التفتازاني، دار المعارف العثمانية، باكستان
٣٨) الملل والنحل، الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، بدون.
٣٩) المنطق متعدد القيم بين درجات الصدق وحدود المعرفة، د/ صلاح عثمان، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٢م
٤٠) المواقف، عضد الدين الإيجي، تحقيق، عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - لبنان - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م
٤١) النظريات العلمية الحديثة، مسيرتها الفكرية وأسلوب ثياتيوس أفلاطون، الأهلية للنشر

والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤،

٤٢) الهندسة المعرفية لعلم الكلام الجديد، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

الرسائل العلمية:

٤٣) مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، د/ عصام أنس الزفتاوي (أطروحة ماجستير بكلية دار العلوم ١٤٠ . ز/ م، (جامعة القاهرة، ٢٠٠٩ م، رقم (٢٠٤٩).

المجلات:

٤٤) الاستدلال ببرهان الخلف لدى المتكلمين: الغزالي أنموذجا، د/ محمد أيت حمو، ملخص ندوة المنطق واستعمالاته، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، المغرب، فبراير ٢٠١٧ م.

٤٥) تحليل مفهوم التجدد في الكلام الجديد، د. أحد فرامرز قراملكي ترجمة: حبيب فيَّاض، مجلَّة المنطلق، ع ١١٩ (خريف وشتاء ١٩٩٧ - ١٩٩٨) .

٤٦) التعددية الدينية، رؤية نقدية، محروط محمد محروط بسيوني، مجلة طيبة، جامعة قطر، السنة السادسة، العدد ٢، ١٤٣٨

٤٧) جوانب التربية العقلية والعلمية في الإسلام، د/ مقداد يالجن، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١٩٨٢م.

٤٨) العدد ٣/ أ ١٤٣٠، ٢٠٠٩م.

٤٩) علم الكلام ... ضرورات النهضة ودواعي التجديد، مجلَّة «الحياة الطَّيِّبة»، بيروت، لبنان ط١، - ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

٥٠) علم الكلام بين الأصالة والتجديد، د/ محمد خير حسن العمري، المجلة الأردنية في الدراسات الاسلامية المجلد الخامس

٥١) علم نفس الدين قراءة تحليلية في تنظيرات فرويد ويونغ، مسعود أذربيجاني، مجلة

الاستغراب، ٢٠١٦م، بدون.

٥٢) واقعية المنهج الكلامي ودورها في مواجهة التحديات الفلسفية المعاصرة، د. عبد المجيد النجار، مجلة المسلم المعاصر، بيروت، لبنان، العدد ٦٠، ١٩٩١ م.

فهرس المحتويات

التجديد في علم الكلام الدواعي ،والضوابط ٤٢٨
ملخص البحث باللغة العربية: ٤٣٠
ملخص البحث باللغة الإنجليزية: ٤٣١
مُقَدِّمَة ٤٣٢
إشكالية البحث: ٤٣٣
أهمية الدراسة: ٤٣٤
المنهج المتبع في الدراسة: ٤٣٤
خطة البحث: ٤٣٤
المبحث الأول: دواعي التجديد في علم الكلام الإسلامي ٤٣٧
المطلب الأول: الطبيعة التجديدية لعلم الكلام ٤٣٧
المطلب الثاني: التجديد في العصر الحاضر ٤٤٠
حدود التجديد: ٤٤٤
المبحث الثاني: ضوابط التجديد في علم الكلام الإسلامي ٤٥١
المطلب الأول: (مراعاة الخصوصية الغيبية للدين الإسلامي) (الطبيعة النقلية لعلم الكلام) ٤٥١
الاشتراك في طرق اكتساب بعض المعلومات والافتراق في مجال الغيبيات: ٤٥٥
المطلب الثاني: اليقين كهدف لعلم الكلام ٤٥٨
المطلب الثالث: (مراعاة الكيفيات والدوافع) ٤٦٣
المطلب الرابع: (مراعاة شروط التغير ووفق أي مفهوم يتم) ٤٦٥
المبحث الثالث: التجديد في مسائل علم العقيدة ٤٦٧

المطلب الأول: واقعية علم الكلام ٤٦٧
نصوص تأسيسية: ٤٦٧
التجديد في عرض بعض المسائل (النبوات): ٤٧٣
التجديد في المنهج (المنهج التجريبي): ٤٧٥
الخاتمة ٤٧٩
التوصيات: ٤٨٠
المصادروالمراجع ٤٨١
الرسائل العلمية: ٤٨٤
المجلات: ٤٨٤
فهرس المحتويات ٤٨٦